دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف - الرباط

ذو الحجة ١٣٧٦

يوليوز ٩٥٧

العدد الاول

الثمن ١٠٠ فرنك

الحمد لله

أصبح من آكد الواجبات المتأكدة علينا في نهضتنا الشاملة أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية، وأن نعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف.

إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه والسير على سننه لَيُعدّ أحد العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين، بالرغم مما اعترض سبيلنا من عراقيل وما منينا به من أهوال وخطوب، وسيكون عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كأمة تتوق إلى حياة راقية كريمة.

ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا كبير الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.

وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق والسلام.





مولاى صاحب الجلالة ، الملك المعظم ، سيدى محمد الخامس

نصركم الله وأيدكم ، وأبقاكم لامتكم الوفية المخلصة ، أملا باسما ، ومنارا هاديا ، وضمانا لاستقرار حاضرها ، ولازدهار مستقبلها ، ولبلوغها أقصى ما تصبو اليه فى ظل عرشكم المجيد من الرفاهية والسعادة والتقدم

مـــــولاى .

ان وزارة الاوقاف اذ تتقدم الى كريم أعتابكم بالعدد الاول مـن مجلة (دعوة الحق) انما ترد الى جلالتكم بضاعة أنتم فى الحقيقة أهلها ، وتضع بين يديكم نتاج عقول أنتم ملهمها ومربيها ورائدها ، وتنفذ أمرا تفضلتم باصداره اليها ، استجابة لرغبة ملحة ، وتحقيقا لامنية طالما داعبت قلوب العاملين والمصلحين من أفراد شعبكم المخلص،وحرصا على هذه الامة الكريمة الا تضل بين الدعوات ، والا تتفرق بها السبل ، والا تضطرب فـى خضم التيارات الجارفة ، والا تنخدع بقشور الحضارة عن لبابها ، والا تغفل عن مقدساتها وتاريخها ، والا تنسى أن صرح المجد الذى تسعى جادة لبنائه ، لن يكون متينا الا اذا قام على أساس متين من هذه المقدسات ومن هذا التاريخ

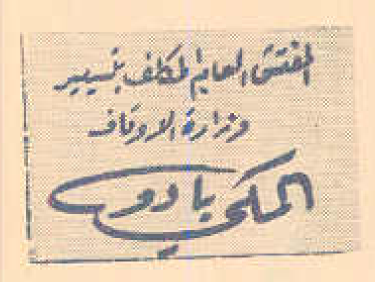
لقد أدركتم ــ يا مولاى ــ ببصيرتكم النافذة ، وبتوفيق الله الـذى لايتخلى ، ولن يتخلى عنكم أبدا ، ان أمتكم فى الظروف التى تجتازها الان ، أحوج ما تكون الى صوت يدعوها بدعوة الحق ، لينير لها الطريق الى الحق ، وان غاية ما ترجوه هذه المجلة، ان تكون عند حسن ظن جلالتكم ، وان توفق فى ضم أصوات الدعاة والمصلحين والعلماء والشباب المثقف من أبناء هـذا القطر السعيد ، بعضها الى بعض ، لتجهر جميعا بهذه الدعوة ، ولعلهم ان فعلوا ، أن يجدوا ــ لهذا الصوت ــ من الصدى أكثر مما كانوا يتوقعون ، والفضل أولا وأخيرا لكم ، فأنتم الداعية الاكبر ، وأنتم المثال الحى للاخلاص والتضحية والدين المتين .

لقد علمتمونا يامولاى ، بسلوككم المثالى ، وبتوجيهاتكم القيمة ، ان الطريق الحق ، هى من جهة ، التمسك بآهداب الدين ، والتحلى بالفضيلة ، واحترام القيم العليا .

ومن جهة أخرى ، الاخذ بأسـباب الحضارة ، والاستفادة مـن علوم العصر وأفكاره وفلسفاته ، بعد تمييز صحيحها من سقيمها ، ولبابها مـن قشورها ، ونافعها مـن ضارها ، ولعل هـذه المجلة أن توفق فـى السير باستمرار فى هذه الطريق ، لاتحيد عنها أبـدا ، وانها لبالغة من ذلك مـا ترجوه ان شاء الله .

وتقبلوا يا مولاى خالص ولائنا لسدتكم العالية ، وعرشكم المجيد .

وان هيئة تحرير هـذه المجلة ، لتغتنم الفرصة ، فتضم صـوتها الى صوت حكومتكم المخلصة وشعبكم الوفى ، راجية أن تحققوا للامـة المغربية أمنيتها الغالية بعقد ولاية العهد رسميا لنجلكم البار ، الامير الجليل مولاى الحسن ، حفظه الله ورعاه ، وسـدد خطاه ، وأعانه عـلى ما يضطلع به مـن المسؤوليات الكبرى والمهام الجسيمة ، انه سبحانه وتعالى سميع مجيب .







وقف الناس من الديانات السماوية موقفا غريبا ، لانهم لم يعرفوا قيمتها ولا قدروها قدرها ، فمنهم من تمسك بالعاطفة الدينية وحدها ، وحمله الحب لها والحرص عليها على ان ياخذ كل ما ينسب للدين على انه دين ، متجاهلا ما احدثته الظروف التاريخية والاجتماعية ، وما أدخلته في الديانات مما ليس منها حتى انحرفت بها عن الطريق السوى والدعوة المثلى ، التي بلغها الرسل وآمن بها الانبياء .

ولولا ذلك الانحراف لما بعث الله الرسل تترى ، ليعيدوا الدين غضا طريا وليجددوا للناس ما ابلاه الانحراف من امر دينهم ، حتى كانت الخاتمة هي بعثة الرسول محمد عليه السلام ، التي وافقت مرحلة معينة من التطور الانساني ، بلغ بها البشر مبلغ الرشد ، فكان محمد نبي العقل ورسول الاصلاح ، مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل ومهيمنا عليهما وعلى غيرهما من الكتب المنزلة ومصلحا لما افسده الاحبار والرهبان من آثارها

وقد كان في مقدمة ما دعا اليه ، النظر والبحث والاهتمام بشؤون المجتمع وامر الناس ، فكان بذلك خير نبراس يقتدى به في جميع العصور ، ولكن امته لم تنج مما اصاب غيرها من الامم ، فانحرفت عن الطريق وأولت الآيات المنزلة ، والاحاديث المحكمة ، التأويلات التي تتفق مع أهوائها ومصالح بعض اشخاصها ، وفرقت دينها فكانت شيعا ، وغيرت سبيلها فملأت اعمالها بدعا ، وحادت عن السنة في الاعتقاد وفي السلوك ، فاصبحت تؤمن بالخرافات وتنهج نهج الاباطيل ، وتعاقبت الاجيال على ذلك ، ونسى الناس من امر الدين الشيء الكثير ، واصبحوا يعتبرون ما تعودوه من التقاليد البالية من صميمه ، وان كان ابعد الاشياء عنه ، فتعصبت العامة للبدل ، وتملق لها الخاصة ، فاخذوا يبحثون عن مبررات اعمالهم ، ويستنبطون لها البينات .



وهكذا تمت المؤامرة من الكل على افساد الدين وتعمية الحقيقة ، وكلما قام داعية ينشر الاصلاح او يهيب بالتجديد ، عاملته الخاصة معاملة المفسد على الناس عقائدها وشؤونها وشايعتهم العامة ، فنبذوه ، لانهم احرص على ما الفوه باسم الدين ، لاسيما وقد ايده المتملقون لهم من علماء السوء ، فيستمر الحال على ما هو عليه ، ويتفق المستفيدون من الوضع حكاما او غيرهم ، على ما يهدىء الجو ، ويبعد القلق عن الاوساط الشعبية ، فيؤيدون اولئك الخاصة لاخضاع العامة ، ولم يلبث الكل ان اصبح يعتقد ان ماهم فيه هو الحق ، تمرنت نفوسهم عليه وجمدوا ، حتى اصبحوا مخلصين في جمودهم ، لايستطيعون قبول اية فكرة تتنافى مع اهوائهم ، وتعمل على تغيير اوضاعهم ، وقد حسبوا انهم ما داموا يصلون ويصومون ويحجون احيانا ، وربما اخرجوا بعض الزكوات ، فقد تمسكوا بالدين ، مع ان الاسلام ليس منحصرا في بعض العبادات دون بعض ولا يمكن ان يجزأ امره ونهيه ، وخصوصا بالنسبة للمجموع ، فاذا كان الفرد قد يعصى بمخالفة بعض الاحكام فلا يخرج من الدين ، فان الامة اذا اجمعت كلها على ترك ذلك الحكم فقد اوشكت ان تعتبر في عداد المارقين المنحرفين عن الطريق .

وقد كان الجانب الذي انحرف عنه الناس من شؤون الملة اكثر من غيره ، هو مايرجع للنواحي الاجتماعية وما يمس الحق العام ، او يتناول صلة الافراد بالحاكمين ، وصلة مجموع الامة ببعضها .

وقد كان ذلك نتيجة للسيطرة التي حصل عليها بعض الساسة في الظروف التاريخية الاسلامية ، فقد عاق ذلك عن تنمية المنظمات الحرة ، وعن ازدهار الافكار التحريرية ، التي تجد اصولها في مختلف الآيات والاحكام الشرعية

واتصل هذا الانحراف بعامل الجمود عى ما الف الناس من الخرافات فتأولوا عقيدة القضاء والقدر الاسلامية على انها جبر لا يسمح بالعمل على تغيير الاحوال واصلاح الشؤون لان ما وقع في العالم لابد ان يدوم ، اذهو مطابق لمقتضى ارادة الله التي لاتقبل التبديل ، وهو تاويل لايتفق مع الحقيقة الشرعية ، لان ارادة الله الخاصة ، تابعة لارادته العامة ، التي تعني تسيير شؤون العالم بمقتضى نواميس اودعها فيه ، وطبائع وضعها في كل الاشياء .

كان لهذا الجمود أثره الفعال في وقوف سير تاريخ الامة الاسلامية الى

الامام ، ولولاه لما وقفنا في منتصف الطريق اولا ، ثم اخذنا نتقهقر الى الورا ، حتى ضاعت معرفتنا وذبل غرسنا وكدنا لانعرف من العالم الا ما توحي به الاوهام ، وما تتحدث به الخرافات او ترويه المناقب ، لقد كفرنا بالشهادة فلم نعد نقرا لها حسابا ، وحولنا الغيب الالاهي الى غيابات من الجهل لاتتفق مع شيء مما امرنا به ، او حذرنا من الوقوع فيه .

وفي هذا الوقت نفسه ، كان العالم الاوربي يتدبر فيما اقتبسه من تعاليم ديننا وما استمده من اصول حضارتنا ويحاول ان يبدأ السير من حيث وقفنا وان يعمل على دراسة العالم ومظاهره والاستفادة من موارده المختلفة ، حتى اكتشف آلة البخار التي غيرت مجرى الحياة وطورت مقادير الانسان .

وبينما نحن نغط في رقادنا ، او نهيم في سبحات المناقب المصطنعة التي نخدر بها احساسنا ، اذا به يقطع المسافات المتعاقبة ، ليقفز بالاقتصاد العالمي هذه القفزة التي مكنته من زمام الارض وما تحتها ، والسماء وماحولها، ولم ننتبه الاوطنين آلاته يقلق راحتنا ، وأدواته المهيمنة توقظنا من مرقدنا ، فحاولنا الافلات منه ، ملتجئين الى عالمنا الوهمي ومناقبنا المصنوعة ، ولكن ذلك كله لم يجدنا نفعا ، ولاحمانا من سيطرة الاقتصاد العصري ، وما اشتمل عليه من تقدم في الصناعة وفي المعرفة وكان ما ارادته السنن الكونية من سيطرة الذين اصلحوا اوطانهم واساليب حياتهم علينا .

لقد كانت محنة ارادها الله ، ايقظتنا من سباتنا ، ونبهتنا من غفلتنا فتقدمنا نتساءل :

ما هي الاسباب وما هو الدافع لسقوطنا ونهوض غيرنا ؟

ما هي العوامل التي جعلت تلامذتنا بالامس اساتذة لنا بل سادة يحكموننا ؟

والتجأ الجامدون الى الرضى والاستسلام ، وقد حلوا المشكل مع انفسهم ، لانهم لايبحثون عما يغير الوضع ، ولا عما يبدل الاحوال .

اما الفئة النيرة ، فقد اندهشت من هول الموقف ، وأنساها الذهول ماضي أسلافها ، وتعاليم دينها ، وحسبت ان ما حصل عليه الغربي هو ذاتي له ، وان الدين وحده هو العائق عن النهوض واللحاق بركب الحضارة الاوربي

وكان المنطق الواقعي الذي يسير تفكيرها هو ان القوة والحضارة عند الغرب ، فيجب ان نقتدي به في كل الاشياء ، وقد كفر الغرب فيجب ان نكفر ، والا بقينا في الحضيض الذي نحن فيه ! !

ولكن هذا المنطق غير سليم ، لانه لم يتعمق اسباب انحطاطنا ولا اسباب رقي الغرب ، ولانه لم ينظر الا لظاهر المسلمين في ابان تقهقرهم .

انه يحتج بجمود الجامدين على الدين وعلى تعاليمه ، مع ان الانصاف يقضي دائما بالتفرقة بين حقيقة الاسلام وبين ما عليه المسلمون ، كما ان من الخطأ اعتبار ان الغرب قد كفر حين تابع طريق النهضة الاقتصادية وشايع مقتضيات الزمن ، بل انه اكثر ما يكون ايمانا بالنواميس التي اودعها الله في الكون ، وهو لم يكفر بغير الجمود الذي علمته كنيسة العصور الوسطى ، والذي يتنافى مع غايات الديانات السماوية جمعاء .

وهكذا وقف المسلمون ــ والمغاربة منهم ــ في مفترق الطرق ، يبحثون عن الوسائل التي تعيدهم لما كانوا عليه من مجد ورفعة ، وارتبك اتجاههم بين آثار الجمود ودعوة الجحود ، وزادهم ارتباكا ان الغرب نفسه غير متفق في برامجه ولا في خططه ، فله هو الآخر جموده متعدد الالوان والاشكال ، وله هو الآخر جحوده ، مختلف الانظمة والاوضاع .

فهل من الحكمة ان نشايع الغرب في كل اموره ؟ ونتابعه في خلافاته فنتفق حيث يتفق ونختلف بالنيابة عنه ايضا ؟

ام الواجب يقضي علينا ان نعتبر انفسنا امة قائمة بنفسها ، وان ما يجمعنا مع الغرب هو اننا جميعا من عالم انساني واحد ، تسيره سنة كونية واحدة ، وانه في دائرة هذه السنن الكونية ، يجب ان نبحث عما نبذناه واقتبسه الغرب ، فنستعيده ، ونستفيد من تجاريب تطبيقه ، وما لم ننبذه من تعاليم السماء ، فنحتفظ به وان كفر به الغرب الراقي .

ومتى قمنا بهذا البحث ، فاننا نجد الغرب قد نجح بالتطور العلمي الآلي الذي حصل عليه ، وليس في الاسلام ما يعوقنا عن اتباع ذلك النهج الذي سلكه ، فلنبذل كل ما في مستطاعنا اذن للحصول على ثقافة علمية متينة ، وعلى مقدرة فنية قوية ثم لنعمل على تطوير اقتصادياتنا وتحريرها من عوائق الماضي وموانع الحاضر الاستعماري .

وهذا لايتوقف على اكثر من نبذ الجمود ، والرغبة في تبديل اوضاعنا وتغيير احوالنا ، واليقين في ان الدين يفرض علينا ان نتعلم كل ما في الوجود من اسرار ، وان نسخرها لصالح الانسانية وخدمة رسالتها ، التي هي عمارة الارض وازدهارها وصناعة ابنائها .

اما ما عدا ذلك من التعاليم الاسلامية ، فقد احتفظنا بالاعتراف بها ، فيجب ان نثبتها في نفوسنا وفي اخلاقنا ، وهل هي غير اعتبار العمل فضيلة ، والاحتراف خلقا كريما ، والطاعة والمحبة والاخاء والعدل والاحسان والكرم والوفاء ، والشجاعة والمواظبة وغير ذلك من صفات ذاتية للمسلم ، يجب ان يكون باتصافه بها شهيدا على الناس ورقيبا ؟

وهل يمكن لمجتمع ان ينهض اذا لم يحتفظ لهذه الصفات الانسانية التي كان ايماننا بها في مقدمة الاستعداد الذي نشعر به لترميم ما خرب ، واعادة ما انهدم من صرح حضارتنا ومجدنا .

المرأة في الشريعة الإسلامية

للأستاذ السيد عبد الله كنون



لما قال جزء بن كليب الفقعسي أبياته البليغة في النعي على هذا الحديث النعمة المدعو ابن كوز تطاوله الى الخطبة منهم والتزوج فيهم وهي هذه:

تبغي ابن كوز والسفاهة كاسمها
ليستاد منا أن شتونا لياليا
فما أكبر الاشياء عندي حزازة
بأن أبت مزريا عليك وزاريا
وانا على عض الزمان الذي ترى
نعالج من كره المخازي الدواهيا
فلا تطلبنها يا ابن كوز فانه
غذا الناس مذ قام النبي الجواريا
وان التي حدثتها في أنوفنا
وأعناقنا من الاباء كما هيا

نعم لما قال أبياته هذه، لم يكن يقصد الا الى تبكيت ابن كوز هذا ولم يكن يشعر انه يوضح لنا حدا فاصلا في تاريخ المرأة، قام بوضعه نبي الاسلام عليه السلام. فالمرأة قبل البعثة المحمدية كانت كاللقى الذي لا قيمة له، فانها اذا سلمت من الوأد وهي طفلة، ضنانة بالنفقة عليها، لم تسلم من شر منه وهي امرأة، حيث تملك لاول طالب يكون له عليها مطلق التصرف، حتى ليبيعها لغيره وتورث من بعده. لكن لما جاء الاسلام، وقام النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى هذا الدين الكريم، تبدلت الحال، وأصبح للمرأة كامل الاعتبار. فأعطتها الشريعة الجديدة من الحقوق عدل ما عليها من الواجبات، ولم تكن قبل تتمتع حتى بحق الحياة، فكان الابقاء عليها يعد هبة من الهبات، وهذا ما عبر عنه الشاعر الحماسي الذي أدرك الفرق بين العهدين بقوله البليغ (غذا الناس مذ قام النبي الجواريا).

مكانة المرأة الاجتماعية

ولسنا بحاجة الى ايراد ما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية، من الحث على الاحسان الى المرأة وهي طفلة، والتوصية بها خيرا فيما بعد ذلك، فان هذا معلوم لكل واحد فضلا عن أننا نريد أن نعطي هذه الكلمة صبغة البحث المجرد، ونبعد بها عن الصفة الخطابية ما أمكن، واذا كان لابد من سياق بعض الايات والاحاديث فاننا ننزلها تنزيلا علميا على ما ذكرناه من الوضعية الجديدة التي أصبحت للمرأة بعد مجيء الاسلام.

فمن الآيات القرآنية في التشنيع على عادة الوأد التي كانت منتشرة عند العرب قوله تعالى: «ولا تقتلوا أولادكم من املاق، نحن نرزقكم واياهم» وقوله في سياق آخر لهذه الآية: «ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق، نحن نرزقهم واياكم، ان قتلهم كان خطئا كبيرا». وقوله في الانتقام للموءودة: «واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت». وقوله في القضاء على ما بقي لهذه العادة في نفوس القوم من أثر ذميم: «واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون».

ومن قوله تعالى في الحض على حسن معاملة الزوجات، ولو لم يكن هناك توافق في الطباع: «وعاشروهن بالمعروف، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا». ومنه في الوصاية بهن اذا ساءت علاقة الزوجية، مخاطبا للازواج «فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه». ومنه فيما اذا حصل الفراق قبل الدخول، مرشدا الى ترك أسباب النزاع المادي «ولا تنسوا الفضل بينكم» وهذه الاية دعوة الى المكارمة لا نظير لها في الحسن

ومنه في توعد الذين يستطيلون على كرامة السيدات الفضليات «ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق، ويعلمون أن الله هو الحق المبين».

وجاء من الاحاديث النبوية بموافقة معاني هذه الآيات، قوله (ص) في الحض على تكرمة البنات وعدم تسخطهن «من ابتلى من هذه البنات بشيء، فأحسن اليهن، كن له سترا من النار». وقوله في حسن معاملة الزوجات «خياركم خياركم لنسائهم» وفي رواية أخرى لهذا الحديث «خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي»، وقوله في خطبة الوداع «اتقوا الله في النساء، فانكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» الى غير ذلك من أقواله (ص) في هذا الصدد.

وعلى كل حال، فقد جعل الاسلام للمرأة مكانة اجتماعية لم تكن لها عند العرب، ولا عند غيرهم من الامم. اذ جعلها ربة البيت المسؤولة عن تدبيره، وهي لم تكن فيه الا من سقط

المتاع «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . فالامام مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها ..» وبسط يدها في مال زوجها بالمعروف كما قال النبي (ص) لهند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب ، وقد اشتكت اليه تقتيره عليها : «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» وذهب في مراعاة شعورها ، وحفظ كرامتها ، الى أبعد الحدود حتى نهى الرجل أن يطرق أهله ليلا اذا طال السفر مخافة أن يتخونهن أو يلتمس عثراتهن كما في الحديث الصحيح .

الحقوق المدنية والسياسية

ثم انه بعد أن قرر للمرأة هذه المكانة الاجتماعية الخطيرة ، نجده أعطاها من الحقوق المدنية والسياسية ما لم تظفر به لحد الان عند أكثر الامم تسامحا في حق المرأة ، فأباح لها التصرف في مالها بالبيع والشراء والاخذ والعطاء ، اذا كانت رشيدة . ولم يجعل ذلك متوقفا على اذن أب ولا أخ ولا زوج الا في جزء خاص من المال ، في حالة خاصة يساوي الرجل فيها المرأة ، بالنسبة الى ورثته من أولاده وأقاربه الفقراء . وهذا الحق ليس للمرأة الفرنسية التي تعد المثل الاعلى في الحرية والتمتع بأسباب الحياة ، فان القانون الفرنسي يقيد المرأة عن التصرف في مالها الا برضى زوجها واجازته .

وأعطى الاسلام للمرأة حق حضانة الاولاد ، وقدمها في ذلك على الرجل ، ولو كان أبا وهي غير أم ، وذلك عند مفارقته لامهم وعند وفاته بالاخرى وفي ذلك من التقدير لعاطفة الامومة ومن الثقة بكفاية المرأة في هذا المهم العظيم ما لايخفى . على أنها تكون أيضا وصية ، فتقوم مقام الموصي في النظر للمحاجير وتدبير شؤونهم المالية وغيرها ، فتمت بذلك مسؤوليتها المدنية من جميع الوجوه .

وغير خاف على أحد أنه يجوز للمرأة الاشتغال بالطبابة ، والاشراف على المؤسسات التربوية ، والمشاركة في الحروب : بأعمال الاسعاف ومداواة الجرحى ، بل حتى بالقتال حينما يتعين على كل أحد وذلك عند مفاجأة العدو لارض الاسلام . ولقد رئيت عائشة وأم سليم (ض) في غزوة أحد ، وهما مشمرتان عن سوقهما تقفزان والقرب على متونهما فتفرغان الماء في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم .

وأول ما ركب المسلمون البحر للغزو ، كانت معهم أم حرام بنت ملحان التي سبق أن أخبرها النبي (ص) بذلك .

وأجاز (ص) أمان أم هانىء لاحد الكفار يوم فتح مكة . وكان أخوها علي كرم الله وجهه يريد قتله ، فجاءت النبي (ص) فقالت يا رسول الله : «زعم ابن أبي طالب أنه قاتل رجلا أجرته» فقال : «قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء» والائمة كلهم على اجازة أمان المرأة للحربي ، عملا بهذا الحديث وبالحديث الاخر الذي هو أعم منه دلالة : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم» .

وعمل (ص) باشارة زوجه أم سلمة يوم الحديبية ؛ وكان قد أنكر حال المسلمين ، فدخل عليها وقال «هلك المسلمون ، أمرتهم مرارا فلم يجبني أحد» فقالت : «لاتلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ، ولكن أخرج ، ولا تكلم أحدا منهم ، وانحر بدنك ، واحلق رأسك ، فانهم يفعلون كما فعلت» فكان الامر كما قالت ، وسميت بذلك مستشارة النبي (ص)

الحقوق السياسية

وبالجملة فليس هناك عمل يحق للمرأة أن تزاوله ــ وهو يتصل من قريب أو بعيد بمهمتها في الحياة ــ الا خولها الشارع الاسلامي اياه . وزاد على ذلك أمورا من السياسة العامة ، لايزال بعض الناس يمانعون فيها . وهي كما رأيت من المنصوص عليه : فالاولى أن تمنحها بموجب شرع ، قبل أن يهدم السد وتنتزعها انتزاعا . وذلك ما عبرت عنه الآية الكريمة «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» أحسن تعبير وأدقه ، فليس على المرأة واجب لايكون في مقابلته حق ، وتلك غاية العدالة التي يستوي عندها الرجال والنساء . وتوسع بعض فقهاء الاسلام فيما يجوز للمرأة أن تليه من الاعمال ، فقال أبو حنيفة : انها تلي القضاء في الاموال دون القصاص ، وروى هذا القول أيضا عن مالك ، وقال محمد ابن الحسن ومحمد بن جرير الطبري: يجوز أن تكون المرأة قاضية على كل حال ، نص عليه الباجي في المنتقى .

ونحن اذا نظرنا في الدلائل والاصول ، لم نجد هناك نصا يمنع المرأة من أن تلي القضاء وغيره من الاعمال الحكومية ، حتى الوظائف السياسية العليا ، باستثناء الخلافة العظمى ؛ أي الملك وما في معناه من رئاسة الجمهورية ؛ التي هي ولاشك المراد بقوله (ص) «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» بدليل سبب ورود هذا الحديث . وسبب الورود كسبب النزول ــ يبين المراد من الحديث ، والمحل الذي ينبغي أن يحمل عليه . وقد قال (ص) ذلك الحديث في أهل فارس لما قيل : ان كسرى مات وان رعيته ولوا عليهم ابنته .

نعم اذا كانت ولايتها لشيء مما ذكر في دائرة النظام الاسلامي ، فينبغي أن يعرف أنها لابد أن تتقيد بواجبات الاسلام في المظهر والسلوك العام : فتتجنب هذا التبرج الآثم ، والاختلاط المريب ، وتلتزم التصون والعفاف ، على ما كانت عليه المرأة الاسلامية في العهد الماضي لما قال أولائك الفقهاء قولهم ، وأباحوا لها من

ولاية القضاء ماأباحوا . أما مع التبرج وابداء الزينة ، والخلوة بالاجنبى ، فانه لايصح أن تباشر شيئا من ذلك داخل نظام الاسلام الذى له فى مسألة المحافظة على الاخلاق نظر

بين التأييد والمعارضة

وهذا كله قد يكون محل وفاق بيننا وبين الذين تختلف أنظارهم فى الموضوع ، ولكنهم يعترضون بان ما ذكرناه منقوض بما قسم الاسلام للمرأة فى الارث من قسمة ناطقة بعدم المساواة بينها وبين الرجل ، فان ذلك بخس عظيم لحقها ، فأين ما تدعونه لها من توفية الحقوق وحفظ الكرامة ؟

وهؤلاء المعترضون ، يجهلون أن الشريعة الاسلامية شريعة عملية ، وان مبناها على أساس : خذ واعط ، كما اشارت الاية السابقة : «ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف» فالمرأة فى الاسلام تأخذ الصداق ولا تعطيه . كما عند الامم الاخرى ، وتجب نفقتها على الزوج ، وان كانت غنية وهو فقير وليس عليها أن تخدمه ، بل عليه هو أن يتخذ لها خادما ان كانت من ذوات القدر . ففى مختصر الشيخ خليل المبين لما به الفتوى عندالمالكية (واخدام أهله وان بكراء ولو بأكثر من واحدة) ولذلك فهى فى الارث تأخذ نصف ما يأخذه الرجل الذى عليه كل هذه الواجبات ، وذلك من الانصاف الذى لايمترى فيه اثنان ، بل الواقع أن لها فى هذه القسمة تمييزا على الرجل ، فلو أننا قسمنا لهما بالتسوية ، وكلفناها بتلك الواجبات لكان عليها حيف كبير فى ذلك فضلا عن الغضاضة التى تلحقها فى دفع الصداق الى الزوج ، وماذا يرضى الزوج من الصداق ؟..

على أننا لاينبغى أن ننسى هنا أن بعض الامم المتحضرة تخص الابن البكر بارث الوالد ، فتكون البنت عندهم محرومة بالكلية من أى حق فى ارث والدها . فأين يجىء ذلك مما فرضه الاسلام ؟

حق الطلاق

ويعترضون بان الاسلام جعل حق الطلاق للرجل دون المرأة ، وفى ذلك تمييز له عليها ، وما دروا بان الحكمة فى ذلك تقليل حوادث الطلاق الذى هو أبغض الحلال الى الله على ما يروى فاذا نظرنا من وجهة واقعية الى علاقات الازواج بعضهم مع بعض ، وما يمكن أن تتعرض له هذه العلاقات يوميا من توتر ثم انقطاع ، نجد أن الطلاق يتهدد الحياة الزوجية كل يوم بسبب الخلافات التى تنشب عادة بين الازواج . والمرأة بسرعة انفعالها ولكونها قد تكون لها ضرة أو ضرات ، لابد أن تلجأ اليه أكثر من الرجل ، ظانة أن فيه راحتها من متاعب الزوجية . مع أن حقيقة التعب النفسى والجسمانى هى فى تأيمها وحياتها بدون زوج ، بخلاف الرجل فانه أكثر ضبطا لعواطفه ، وأكثر تقديرا للموقف ، ولاسيما حين يكون زوجا لاكثر من واحدة فلا يسرع الى الطلاق اسراع المرأة ، ولايرى فيه الخلاص الذى تراه المرأة فى مشاكل البيت التى لامعدى عنها ، وذلك فضلا عن أنه الذى دفع الصداق ، وأنفق الكثير من ماله فى تكوين هذا البيت المهدد ، فهو ان لم يمسك عن الطلاق ، لمانع أدبى ، فلابد أن يمسك عنه لمانع مادى . وهذا هو معنى قول فقهائنا بلغة الفقه الساذجة (انما الطلاق لمن أخذ بالساق) ولعله لو وضع احصاء فى بلاد أوربا وأمريكا التى تتابعت الان فى الطلاق تتابعا كبيرا ، بعد أن كانت لاتقول به ، لوجد أن أكثر طالبيه من النساء ، وان لم يكن كذلك فلابد أن يكون عامل تبرج المرأة وتحللها من كثير من الواجبات الخلقية ذا أثر بليغ فى حمل الرجال هناك على الطلاق .

واذا كان الاسلام لم يجعل للمرأة حق الطلاق مباشرة ، فقد جعله لها بواسطة : وهى أن تشترطه فى عقد الزوجية ، أو أن تختلع من الزوج ببذل بعض العوض فى مقابلة النفقات التى اقتضتها رابطة الزواج ؛ وأعظم من ذلك ، انه جعل لها الحق فى دفع التهمة عن نفسها بمجرد يمين تسمى لعانا ، فتحرز بذلك نفسها وشرفها . وليس لهذا التشريع وجود فى قانون غير قانون الاسلام ، مع أن مورده هو أكثر الاسباب لوقوع الطلاق فى بلاد الغرب ، على أن الكثير من فقهائنا ذهبوا فى الستر على المرأة الى أبعد من هذا الحد ، فقرروا أن أمد الحمل فى أقل تقدير : ستة أشهر وفى أكثره : خمسة أعوام . فاذا جاءت المرأة بولد لاقل الامد ، وهى فى عصمة زوجها ، أو لاكثره ، وهى مطلقة أو متوفى عنها ، فهو ولد شرعى لايحق للزوج ولا لاهله أن ينفوه عنهم مع مخالفة ذلك للنواميس الطبيعية . ولكن الشارع الاسلامى الذى أمر بالمحافظة على الاعراض والانساب وقال : «ادرأوا الحدود بالشبهات ... والولد للفراش» أتاح الفرصة الاجتهادية فى هذا الحكم للفقهاء الاعلام ، فحموا بذلك المرأة المسلمة بل الاسرة الاسلامية من أن يتطرق اليها القيل والقال . اللهم الا اذا ألح الزوج فى الامر ، فالمخلص هو اللعان المذكور آنفا .

ومن التشريعات الاسلامية التى تترتب على الطلاق ، وفيها محاسنة للمرأة ، ما أمر به الله تعالى من تمتيع المطلقات فى قوله : «ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين» وقال فى الآية الاخرى «وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين» ويمكن للقاضى بالاستناد الى هذا الامر أن يفرض للمرأة فى مال مطلقها مبلغا يعوض لها ما لحقها من الضرر بسبب الطلاق اذا ثبت ذلك وهو معروف أمر به الكتاب العزيز فى حالة الفراق العادية على سبيل الالزام فيما اذا كان الفراق بحالة فيها ضرر على الزوجة ويكون تقريره مما يحمل على التفكير كثيرا فى ايقاع الطلاق قبل الاقدام عليه .

تعدد الزوجات

ويقول المعترضون أيضا ان التشريع الذى يبيح للرجل تعدد الزوجات ، لايكون فى مصلحة المرأة مطلقا ، ولايعدو أن يكون استهتارا بحقوقها التى تزعمون أنه يكفلها فضلا عما يسببه للاسرة التى تبتلى به من حياة اجتماعية مضطربة . والواقع أن التشريع الاسلامى الذى يحمل طابع العمومية قد يضحى بمصلحة الفرد لمصلحة الجماعة تضحية طفيفة كما هنا . فانا اذا نظرنا للمسالة من الناحية العاطفية ، نجدها ليست فى مصلحة المرأة كفرد ، ولكن اذا نظرنا اليها من الناحية العملية نجدها عين المصلحة بالنسبة اليها كجنس. وذلك أن ارتفاع نسبة المواليد الانسانية فى الاناث عنها فى الذكور الذى هو ظاهرة طبيعية لايمكن انكارها ، يسبب أزمة اجتماعية فى كل الامم ، هى نقصان عدد الازواج عن عدد طالبات الزواج ، ويتفاحش هذا النقصان بالحروب التى تحصد الرجال حصدا ، فضلا عن كون الوفاة الطبيعية المبكرة بين الرجال أكثر منها بين النساء كما هو معلوم . فاذا لم نحل هذه الازمة بتعدد الزوجات ، فان كثيرات من الفتيات البريئات ، فضلا عن الايامى الشابات يعنسن ويبقين محرومات من الحياة الزوجية ومباهجها التى يتمتع بها من أسعدهن الحظ بالزواج ودوامه . ولقد جاء فى بعض الاحصائيات أن بمدينة لندن وحدها مائة ألف فتاة عانس يائسة من الزواج . واذا كان هذا فى انكلترا فكيف يكون الحال فى ألمانيا التى خسرت فى الحربين العالميتين الاخريتين عدة ملاين من زهرة شبانها وخيرة رجالها .

ولاشك أن ما تقاسيه الفتاة العانس والمرأة الأيم من كآبة العيش وجهامة الحياة ، هو مما يعفى على ما تشكو منه امرأة التى لها ضرة من خيالات الحب وأوهام الغيرة ، فكيف لانضحى بهذا لذلك .

على أن هذا كله ، انما هو بالنظر الى المسألة من الناحية الوجدانية والجنسية ، وأما بالنظر اليها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فان العدالة تقضى بوجوب تكافؤ الفرص بين أبناء الأمة الواحدة والا يعيش شخص فى بحبوحة النعيم بينما يحرم آخر حتى من الضروريات التى لاغنى عنها . ولذلك نرى أن المصلحة العمومية فى هذا التشريع رجحت بالمصلحة الفردية ، وان المرأة التى تشكو من مقاسمة ضرتها دفء الزوجية وخيرها الكثير ، انما هى امرأة انانية تقدم مصلحتها الشخصية على مصلحة الأمة : فلا ينبغى أن يقام لشعورها وزن .

واذن فمصلحة المرأة الحقيقية هى ما كفله هذا التشريع ، والاستهتار بحقوقها هو حرمانها من التمتع بمزاياه . والحياة الاجتماعية المضطربة هى فى ترك قسم غير قليل من بنات الأمة محروما معرضا للغواية والاغراء نتيجة لحياة الخصاصة والتشوف التى يضطر اليها اضطرارا ، وما كان الاسلام ليقر هذا التشريع — بعد تحويره — وقد كان فى الامم السابقة الا لتفادى ما يترتب على ابطاله من مفاسد خلقية واجتماعية

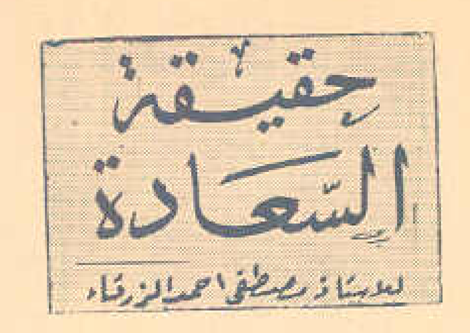
ولعله قد آن الاوان لمعرفة ما فى شرائع الاسلام من خير وصلاح للانسانية ، فبعد الاقرار بضرورة الطلاق ، واصطناعه فى اكثر أمم الحضارة المسيحية اليوم : نرى أن هؤلاء المعترضين يدلفون ايضا الى الاعتراف بضرورة تعدد الزوجات لانقاذ المجتمعات الانسانية مما تتخبط فيه من الويلات . فهذا الكاتب الالمانى الشهير اميل لودفيك يقول فى أحدث مؤلفاته ، وهو كتاب له عن الحياة والحب : « ان تعدد الزوجات أمر طبيعى ، وعدمه مخالف لطبيعة الانسانية » وجاء فى كتاب قصة الحضارة للكاتب الامريكى الكبير ويلى دوبرانت : « ان اصطناع المسيحيين لنظام الزوجة الواحدة بعد مخالفة للانجيل الذى يبيح التعدد » فهل يعنى هذا تراجعا فى الفكرة الغربية بالنسبة الى هذا التشريع ؟ .

الشهادة والدية

بقى من المسائل التى ربما تورد على موضوع حقوق المرأة فى الاسلام وعدم مساواته لها بالرجل مسألة الشهادة ومسألة الدية .

فأما مسألة الشهادة فهى جعله شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين ، ونحن نرى أن فى ذلك رفقا بالمرأة وابتعادا بها عن أسباب الخصومة ؛ لان الشهادة مهمة خطيرة ، تترتب عليها مسؤوليات كثيرة ، وربما تسببت عنها عداوات وأضرار شخصية مختلفة . فالاولى بالمرأة ألا تتورط فى حبالتها . وان كان ولا بد فان إعتضادها بامرأة أخرى يخفف عنها عبء هذه المسؤولية ويجعل المشهود عليه يتروى فى أمره ، فلا يتعجل بالخصومة ولا بما ينشأ عنها من الاذى . أما اذا لم توجد المرأة الثانية فان الواحدة تكون حينئذ معفية من اداء هذا الواجب ومتحللة من جميع تبعاته ؛ ومن تأمل قوله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا » ادرك خطورة أمر الشهادة ، وخاصة من قوله : (ولايأب) فان الاباء انما يكون من شيء ثقيل على النفس ، وهو ما أراح الله منه المرأة ، وحط عنها وزره ، الا أن تعينها عليه امرأة اخرى

وأما مسألة الدية ، فهى وان لم تكن مما يورد فى هذا الصدد ، فانا أحب أن نوردها ، ونجيب عن شبهتها لئلا يلوح بها بعض المعترضين فيما بعد ؛ وقد اشتهر بين الفقهاء أن المرأة تعاقل الرجل الى ثلث الدية فاذا بلغت الثلث كانت الى النصف من دية الرجل



ورد في القرآن العظيم آيات تقسم الناس الى قسمين : اشقياء وسعداء ، وآيات تصف احوال السعدا والاشقياء ومصيرهم في الاخرة من ذلك قوله تعالى في سورة :

« يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد . فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد . واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » والسعادة لغة هي ضد الشقاء . فما هي السعادة وما هو الشقاء في المفهوم الاسلامي ؟ ان للناس في تخيل السعادة مذاهب ومقاييس شتى . فالسعادة حالة اعتبارية تصور لها الناس مفاهيم مختلفة متباينة او متضادة في افكارهم باختلاف اصنافهم وامزجتهم ، ومداركهم ، وثقافتهم ومواقعهم في الحياة .

وقد تتبدل وتتغير مفاهيم السعادة وصورها لدى الشخص الواحد في مراحل حياته ، تبعا لتبدل اطواره، وتطور افكاره ، وتقلب الحوادث عليه .

ومن هنا كانت السعادة هي ذلك المأمول المجهول بين الناس ، ومعناها هو الواضح المبهم في مداركهم :

فكل واحد يبتغيها ، ويلهج بذكرها ، ويقتفي ما يظهر له من آثارها . فاذا وصل الى المنازل التي تنتهي اليها تلك الاثار ، وجد أنها غير منازل السعادة التي كان يحلم بها ويتصورها ، ويسعى اليها ، فيرتد كاسف البال ، اما يائسا ، واما بائسا .

وقد يرى المرء بعض الناس في مظاهر نعمة تنبيء بسعادتهم ، فاذا اطلع على المخبؤ من امرهم وهمومهم ، او وصل الى مثل حالهم ، وذاق ما فيها من مكدرات الصفو ومنغصات الحياة ، عرف ان وراء الاكمة ما وراءها ، وان السعادة لا تزال محتجبة عنه في خبايها ، معتزة بخفائها .

وفي الغالب يكون لمفهوم السعادة في نظر الانسان ارتباط وثيق بالمثل العليا التي يطمح اليها في حياته ، ولكنها ليست هي اياها ، فقد يطمح الانسان الى اهداف مغريات من حكم وسلطان وجاه ومال، وان كان لا يعتقد انه يكون سعيدا بها ، وانما يهواها استجابة لاقوى شهواته وأشدها ظماء

ولعل مفهوم السعادة من ابرز الامور التي يختلف فيها نظر العقلاء والفلاسفة عن نظر العامة والبسطاء ، مع تطلع الجميع اليها ونشدانهم اياها، وحرصهم على اكتسابها والتمتع بها .

فالنظر العامي الى السعادة مادي وطيء قاصر . واما نظر العقلاء اليها فمثالي عال بعيد .

والنظر العامي الى السعادة اكثر تباينا في ادراكها . فهو يقع على صور شتى مختلفة باختلاف انواع متع الحياة والوانها ، واختلاف الميل والنزعات ، لانه كما قلنا نظر مادي ، فهو يمزج بين معنى السعادة وهناءة العيش ، فاللون الذي يروقه من الوان تلك الهناءة يرى فيه السعادة . ومن ثم كان كل انسان يرى صورة السعادة المنشودة انما هي في تحقيق هواه . فتختلف تلك الصور لهذا المفهوم الواحد باختلاف الاهواء ، وما اكثر اختلافها وبواعثه .

فالملك مثلا ، قد يرى السعادة في أن تدين له البلاد ، وتخضع العباد ، وتجبى له الاموال في أمان واطمئنان.

والتاجر مثلا قد يرى السعادة وينشدها في تعاظم الارباح واستمرارها حتى يصبح من ملوك المال .

والمرأة قد ترى السعادة في أن ترزق زوجا ملائما لذوقها مثريا محبا مطيعا لها تتحكم فيه وفي ماله ، ويسعى اليها برغباتها .

والمريض المبتلى يرى سعادته في عافية لا يشوبها ألم ، ولا يحرم فيها شهوة مأكل ، أو لذة متعه .

ومحب الوجاهة يرى سعادته في الشهرة الذائعة والجاه العريض .

والمتعب يرى سعادته في حياة راحة ودعة وكفاية .

وهكذا كل انسان ، اجمالا ، قد يرى ان اول عناصر سعادته في ان يكون مرفها منعما ، موفور المطالب واللذائذ ، على اختلاف في انواع هذه المطالب ، بحسب اختلاف الاهواء .

لكن كل هذه المفاهيم خاطئة . وأوضح دليل على خطئها تناقضها في نظر انسان وآخر .

وقد ضرب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذه المفاهيم الخاطئة في معنى السعادة ضربة دامغة ، بفيصل العقل والدين والنظر الرشيد الذي ينظر الى الحال والمآل معا . وأقام مفهوم السعادة على اساسين اثنين هما : الكفاءة في الدنيا ، والاعداد للاخرة . فقد روى عنه عليه السلام كما اورده السيوطي في الجامع الصغير انه قال :

« كفى بالمرء سعادة ان يوثق به في امر دينه ودنياه » .

وبذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم الناس مفهوما جديدا سديدا للسعادة ثابتا غير متباين الالوان ولا متناقض المعاني ، لانه يقوم على اساس الحقيقة التي من خصائصها الثبات .

فالثقة بالانسان في امر دنياه انما هي بان يكون قادرا على ممارسة العمل الذي يطلب منه في هذه الحياة الدنيا، وادائه على اكمل وجه .

فقدرة التاجر تبرز في تجارته ، والصانع في صناعته ، والموظف العامل في ادارته والسياسي في حزمه وسياسته ، والقائد الحربي في حنكته وشجاعته ، والمعلم في طريقة تعليمه وتربيته ، كل ذلك وامثاله هو محل الثقة بالانسان في امر دنياه .

1 ـ فاذا لم يكن الانسان كفيا معتدا به في اصلاح امر الدنيا ، سواء أكان ذلك لنقص في مواهبه وقابليته ، او كان لتقصيره في تجهيز نفسه بدعائم الكفاية ووسائلها ، او كان لعارض آخر مانع له من ان يكون في مصاف من يعتمد على قدرتهم في اجادة العمل فهو ناقص السعادة . اى ان العجز بجميع صوره واسبابه مخل بكمال معنى السعادة . ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من العجز وما يؤدي اليه . ففي المأثور من ادعيته الشريفة قوله « اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل ، واعوذ بك من الجبن والبخل » .

فالجاهل والاحمق والضعيف والجبان وامثالهم ليسوا بسعداء ، ولو كانوا منعمين مترفين لان فيهم عجزا .

2 ـ واذا كان الانسان قديرا كفيا مجيدا لما يتولى من عمل ، لكنه غير موثوق به فيما يصلح امر آخرته من اخلاص ، وامانة ، وعفة عن المحرمات ، وقيام بالاوامر الالهية التي تهذب الروح وتوجه الى الكمال الانساني ، الذي يرتبط به ايضا صلاح العمل في الدنيا ، اى اذا كان المرء ، اجمالا ، قويا غير تقي ، كان ايضا ناقص السعادة رغم كونه قديرا على عمل دنياه .

وان السعيد الكامل هو من اجتمع فيه العنصران فكان ثقة في كفايته وفي تقواه ، ليكون مصلحا لامر دينه ودنياه . وبعد ذلك لا عبرة لكونه متعبا في الحياة ، او محروما بعض حظوظ فيها ، ولو كانت من الحظوظ المباحة . بل لا بأس ان تذهب نفسه ضحية في سبيل واجبه كالمجاهدين الصابين ، والشهداء ، فلا يعد هذا نقصا في سعادته ، بل بالعكس يعتبر زيادة في مرتبتها . فبالاولى ان لا يخل بحقيقة معنى السعادة كون الانسان محروما حرمانا جزئيا من بعض متع الدنيا وراحتها .

فالدنيا مرحلة سفر مليئة بالمتاعب والاهوال لا يمكن ان تصفو صفاء كاملا لانسان . فربط السعادة بصفاء الحياة عبث ، لان هذا الصفاء مستحيل في العادة ، فيكون تعليق الامل به مدعاة الى الضجر الدائم ، ثم الى اليأس والقنوط ، متى فاتت الحظوظ العاجلة المرموقة ، التي لن تتكامل لاحد من الناس . وهذا غفلة عن الجانب الروحي في الانسان ، وعن المصير الدائم له بعد هذه الحياة الدنيا ، التي هي طريق موقتة ، لا بد لكل مار فيها من ان يعمرها بالعمل الصالح ، وذلك بان يجتهد في بناء محطات صالحة نافعة لمن يمر بعده ، وان يتدرع في مروره وبنائه بالصبر والقوة والتضحية والامانة ليكون مثلا حسنا لغيره من المارة يلتمسون السعادة في النسج على منواله .

فالملك او الرئيس الذي يوثق بحسن قدرته وادارته وسياسته ، من الناحية الدنيوية ، وبحسن تقواه واخلاصه لامته وايثاره لصالحها ، من الناحية الدينية هو سعيد مهما حمل في سبيل ذلك من متاعب ونصب .

وكل موظف عامل بالنسبة الى نوع عمله ، اذا حمل هاتين الثقتين فهو كذلك سعيد .

والزوجة اذا كانت ثقة في قدرتها على اداء مهمة العمل في مملكتها الصغيرة البيتية والعائلية، مع التقوى والامانة والعفة ، بحيث ترعى حق نفسها وحق زوجها وحق ربها ، هي سعيدة ، وان كانت في فقر وكد ، لا تتيسر لها وسائل الراحة والمتعة على حسب ما تشتهي .

هذا بيان ما يهدف اليه ذلك الحديث النبوي من جوامع كلمه (صلى الله عليه وسلم) : كفى بالمرء سعادة ان يوثق به في امر دينه ودنياه .

وبذلك قد قلب النبي عليه السلام معنى السعادة الخاطىء رأسا على عقب، ونقلها من مفهوم مادي منحط غير لائق بعقل الانسان ، وبعد نظره في الامور، وعمق ادراكه فيها ، الى مفهوم آخر ، اسمى وارفع شأنا ، واوسع معنى .

فان ذلك المفهوم المادي للسعادة يتطلبه الانسان فيعجزه ادراكه فيهذه الحياة المبنية على المتاعب والمصائب فيرى نفسه مغبونا فيعتريه اليأس من السعادة فيقعد به النشاط .

واما ذلك المفهوم الرفيع السامي الذي بينه النبي عليه الصلاة والسلام فهو يجعل السعادة في متناول يد معظم الناس ، اذ يربطها بعمل الانسان نفسه ، واختياره لمسلكه ، لا بمواتاة الاقدار الجامحة التي لا يستطيع الانسان اخضاعها وتسخيرها .

فقد رسم النبي طريقين : احدهما للسعادة وهو سلوك ما يجعل الانسان ثقة في دنياه ودينه ، وآخر للشقاوة ، وهو خلاف ذلك . والانسان يختار مسلكه منهما . وبذلك يقوى نشاطه وصبره على واجبه ، ولو كان فيه مكدودا ومحروما ، ما دام يعد به في نظر الناس وعند الله رشيدا سعيدا .



كان ذلك أيام المحنة الفلسطينية ، وكنا جماعة ضمنا مجلس ، ونحن ندير الحديث في ألم وحزن وحنق ، حول ما انتهى اليه أمر تلك المأساة ، من اندحار جيوش العرب المسلمين ، ذلك الاندحار الشنيع أمام الفئة القليلة من جنود يهود الذين دخلوا الاراضي المقدسة ، وفعلوا فيها باتباع النبي محمد نساء ورجالا وأطفالا ، ما لم يفعله بآبائهم الاولين . آل فرعون يوم كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم فى الزمن الاول . فقلت – كما أقول دائما – ان هؤلاء المسلمين لم يقع لهم ما وقع ، الا لانهم اتخذوا مهجورا ذلك الكتاب الذى أخذ به آباؤهم الاولون، فكانوا رجال «العمل» فى كل عمل ، ورجال الحكم فى كل أرض ، وأناسى الدنيا فى لمحة من الزمن اتخذوا القرآن مهجورا فصاروا أعجز الناس فى كل مأتى ، واقعدهم عن كل خير ، وبذلك صاروا أذل من الاحمرة المقبرة فى رباع آبائهم الاولين ، التى امتلكها أناس أجانب وحملوا على ظهورهم فى الاراضى المقدسة منها قوما أذلين كانوا أشتاتا فى أطراف الارض . وأذكر أن الحديث كان قد دار فى الموضوع دورات فقلت فى مداره : ماذا كنتم ترون لو أن بناة (الجامعة العربية الجديدة) بنوا جامعتهم على ما بنى عليه أصحاب محمد الاولون (جامعتهم الاسلامية الاولى) أخوة صادقة لا على دخن ، وجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله ونصر العقيدة والمبدأ ، لا فى سبيل الغرض القريب ودنىء المطمع ، أكانوا يفترقون ويتأخرون ويندحرون ؟

لو أن مدخلهم عندما دخلوا بجيوشهم أراضي فلسطين ، كان مدخل آبائهم الاولين ، أكانت تمنع يهود حصونهم وأعوانهم من الله ؟

لو أن المقاتلين أعرضوا عمن خرج فيهم ليوضع خلالهم يبغيهم الفتنة وفيهم سماعون له ، وصموا عن داعي من أتوا المنكر في ناديهم الذي سموه (مجلس الامن) بايقاف القتال ، ولبوا داعي الله بالصبر والمصابرة والجلاد ، أكانوا يردون على أعقابهم خاسرين ؟

لو أنهم حينما قال لهم دعاة الهزيمة : ان الناس قد جمعوا لكم فاما خشوعهم زادهم ذلك ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، أما كان الله يصدقهم وعده ، ويرجعهم برحمة منه وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوانه ؟

ولكنهم خشوا تهديد (مجلس الامن) فى اللحظة التى كانوا أحوج فيها الى خشية من ناداهم بقوله (أتخشونهم ، والله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) فباءوا بالخيبة والخسران والاندحار أمام شرذمة اسرائيل الضالة ، انهم نبذوا القرآن وحادوا عن سنة من كان خلقه القرآن فى الخاصة وفى العامة ، وفى الحرب وفى السلم .

وكان فى الحاضرين شاب من أولئك الذين كونهم (برنامج التثقيف الاستعمارى) فى هذه البلاد ، ولم يعودوا يقيسون الافكار والاعمال الا بمقاييس من شكلهم على شاكلته ، وصهرهم فى بوتقته ، فقال معقبا على ما ذكرت (ان عدم ائتمار من ذكرت بأوامر القرآن) ، دليل على أن القرآن لم يعد صالحا لعلاج الحال ، ولاقادرا على أن يرفع من واقع الامر شيئا ، ولا كافيا لرفع المسلمين من هوتهم السحيقة التى سقطوا فيها حتى الدرك الاسفل .

أذكر انه كان أمامنا اذ ذاك صحن من تمر فقلت – مشيرا اليه – هل تعتقد فى حلاوة هذا التمر فى الواقع ونفس الامر؟ فأجاب: بلا شك قلت : هل يقدح فى حلاوته جهلنا نحن الحاضرين اياها ، وحرمان أنفسنا من التمتع بلذتها من أجل ذلك الجهل لو كان ؟ فأجاب : لا ! بلا شك .



قلت ان القرآن هداية الهية واضحة السبل والمعالم ، ودستور أزلي خالد يشمل كل ما يحتاج اليه جميع بنى الانسان – لا العرب وحدهم – من قواعد ، وقوانين ، ومثل ، وقيم صالحة لان تكون أساس كل حياة حرة وكريمة ، وقوية وعادلة ، وقد شهدت الاحداث التاريخية فى جميع مجاريها المتعاقبة على صحة ما جاء فيه كما سلمت بهديه الافكار الصحيحة ، والعقول الراجحة ، والانظار الخالية من تأثير الشبهات والشهوات فى القديم وفى الحديث ، ولا يضيره أن اتخذه قومه مهجورا ، وعطلوا مبادئه ، وحرموا نعمة العمل بما جاء فيه ، فكان لهم من أجل ذلك ، المعيشة الضنك ، والحياة الذليلة ، والفتنة الدائمة . ثم أخذت أذكر له ما حضرني اذ ذاك من مختلف الادلة العقلية والنقلية

ومن تجاربى الخاصة فى الاهتداء والهداية بهدى القرآن ، ما أفهمه انه لايعلم عن موضوع القرآن وما يحتوى عليه من الانظمة والقوانين والمثل العليا ما ينبغي أن يعلم ، لقد كان هذا الشاب كثير الاتصال بى ، وكان مما اتخذته في الطريق لهدايته ، انى كنت دائما أوقفه على ما أقف عليه من آراء مفكرى الغرب فى صلاحية القرآن ـ الذى هدى المسلمين أولا ـ لهداية انسان القرن العشرين ، الغارق فى بحار النكبات والكوارث والمشاكل التى عجزت أنظمة ساسة الغرب وتشريعات مقننيه عن حلها، باعتراف مفكرى الغرب الاحرار وبطول العشرة ، وباستمرار التوجيه والتذكير ، ألف ذلك الشاب الاستفادة والافادة فى كثير من أحواله وأحوال المتصلين به فى القرآن ، ولقد فاجأته ذات ليلة فى احدى الاجتماعات الوطنية السرية فى عهد الحماية ، وهو يستشهد بايات من الكتاب الكريم ، فى الدعوة الى المبادىء الوطنية ، والحض على الثبات على المبادىء ، والكفاح من أجل تحرير البلاد والدفاع عن كرامتها ، فلما افترق الجمع قلت له: رأيتك قد اجتهدت ان تملا قلوب القوم بروح القوة والعزة والطموح التى شملتها معانى مااستشهدت به من آيات الكتاب الكريم ، أتراك آمنت بان الكتاب كتاب يشمل من معانى القوة والسمو والتوجيه ما هو به كفيل بان يرفع النفوس من حال الى حال ؟ فأجابنى : الايمان بالشيء يا صاحبى تابع لمعرفته ، واذا تيسر انى أدركت ما رأيت انى قد استشهدت به فى الموضوع من آيات بينات ، فمن لى بان أدرك جميع ما تشتمل عليه آيات الكتاب من قوانين واحكام وحقائق وتوجيهات ، حتى يكون ايمانى به الايمان التام ؟ فأجبته : الحقيقة بنت البحث كما قالوا ، ولقد بحث من قبلك (ليوبولد فايس) فكان بحثه سبيل معرفته ، وكانت معرفته طريق ايمانه ، فأنشد الحقيقة تجدها كما وجدها .

لم يكن هذا الشاب الذى ذكرت حكايتى معه سوى (نمط) من تلك الانماط التى قسرها (برنامج التثقيف الاستعمارى) فى بلادنا كما فى جميع بلاد المسلمين التى ابتليت به على أن تتكون على غير النهج الذى يهيئها لفهم الكتاب الذى كونت مبادؤه وتعاليمه تاريخ هذه الامة وامجادها وعظمتها ، وهم اليها ينتسبون ، ولقد رحل الاستعمار الفرنسى من هذه البلاد ولكنه أعقب فيما أعقب على اثره من مخلفات كريهة (أوباء فكرية) عششت فى أدمغة العدد العديد من تلك الانماط التربوية ، وحالت بينهم وبين ان يفقهوا الكتاب ، وعلى قلوبهم أكنة أن يفقهوه ،ومن بينهم وبينه من عجمة الفكر واللسان حجاب ، لذلك رأيت من الدعوة الى الحق ، وقد أصدرت اليوم وزارة عموم الاوقاف ، باشارة أمام هذه البلاد الحارس على دينها وقرآنها (دعوة الحق) للدعوة الى الحق ، وليس بعد الحق الا الضلال ـ رأيت أن أقدم ـ مجتبيا ـ لاولئك الانماط ، من شبان المسلمين فى هذه البلاد ، شهادة ذلك المسلم الغربى الذى تم عقله فتم ايمانه ، فى الكتاب ، ودين الكتاب ، وسنة من نزل عليه الكتاب ، فلعل هذه الشهادة تحفزهم الى أن يتفهموا ويتعقلوا ويدركوا ما أدرك ذلك المسلم بتعقله وتفهمه من علم وايمان ، فان هذا المسلم الغربى قد أسلم وليس للعادات ولا للتبعيات ، ولا لقانون الوراثة والبيئة اثر فى اسلامه، وانما كان فكره مصدر اسلامه ، وعقله طريق ايمانه ، وعمله سبيل هدايته ، ويزعم أولئك الشبان انهم من أنصار حرية الفكر ، وهداية العلم.

لقد هدى الله هذا المسلم الغربى (الى نور الاسلام ، وأنار قلبه بمشكاة وحيه ، فتعلم وعلم ، وتعقل وفهم ، واعتقد وآمن وكتب كتابه بعد العلم والايمان ، يشهد للقرآن ولدين القرآن ولسنة نبي القرآن شهادة متعقل مقتنع ، لا مقلد متبع ، ويتعجب من ترك اخوانه المسلمين العمل بذلك التراث الالهى الذى قام عليه كل ما فى وجودهم التاريخى من عظمة خالدة ومدنية تليدة ، هى بشهادة الصديق والعدو ، أكبر عامل من تلك العوامل التى بنى الغربيون عليها كل ما فى مدنيتهم الحاضرة من عمل ايجابى صحيح ، ويشهد على المدنية الغربية شهادة شاهد من أهلها ، نشأ فى أحضانها ورضع من ألبانها ثم كفر بها كفر العالم المجرب هذا المسلم الغربى هو الذى كان يدعى (ليوبولا فايس) يوم كان نصرانيا مسيحيا والذى تسمى باسم (محمد أسعد) يوم صار طوعا واختيارا مسلما سلفيا ، وكتابه هو كتاب (الاسلام على مفترق الطرق) الذى نقله الدكتور عمر فروخ الى لغة الضاد ، وقال عنه بحق فى مقدمته الدكتور مصطفى الخالدى (انه لم يجد من بين مئات الكتب التى قرأها فى اللغة الاجنبية عن الاسلام أخلق من هذا الكتاب بالنقل الى اللغة العربية) . وهذه بعض فقرات من ذلك الكتاب أقدمها لاولئك الذين نبذوا تعاليم القران ظهريا واتبعوا سنن المدنية الغربية حذو القذة بالقذة وأخذوا يدعون للدخول مع أهلها كل مدخل من مداخل الفكر والعمل ، حتى ولو كان أضيق من أحجار الضباب واليرابيع .

عندما خالطت بشاشة الاسلام قلب هذا الكاتب أدرك بمعاشرته المسلمين (ان كل ما كان فى الاسلام تقدما وحيوية أصبح بين المسلمين تراخيا وركودا ، وكل ما كان فى الاسلام من قبل كرما وايثارا ، أصبح اليوم بين المسلمين ضيقا فى النظر وحبا للحياة الهينة) وعندما اقترب من هذه المشكلة البادية امامه ، وتخيل نفسه واحدا من أبنائها تحقق (أن ثمت سببا واحدا فقط للانحلال

الاجتماعي والثقافي بين المسلمين ، ذلك السبب يرجع الى الحقيقة الدالة على ان المسلمين أخذوا يتركون شيئا فشيئا اتباع روح التعاليم الاسلامية) وبعد ما درس الكاتب فى الفصل الثانى الاساس المادى المترف الذى يقوم عليه بناء الحياة الانسانية فى نظر المدنية الاروبية درس الناقد البصير ، وأبان انه مخالف تمام المخالفة للاساس الامثل الذى يقوم عليه بناء هذه الحياة فى نظر الشريعة الاسلامية ختم كلامه بقوله : (والنتيجة الوحيدة هى أن مدنية من هذا النوع انما هى سم زعاف لكل ثقافة مبنية على القيم الدينية ، ان مثل هذا الموقف المذبذب من الاخلاق لايتفق بكل تأكيد مع الاتجاه الدينى ومن أجل ذلك كانت أسس المدنية الغربية الحديثة لاتوافق الاسلام ، على أن هذا يجب الا يحول أبدا دون امكان أخذ المسلمين من الغرب ببعض البواعث فى ميدان العلوم المجردة والعلوم التجريبية ، اما أن يخطو المسلمون الى أبعد من ذلك ، أو أن يقلدوا المدنية الغربية فى روحها وفى أسلوب حياتها ، فهو المستحيل ، الا اذا سددت ضربة قاضية للاسلام كدولة الهية وكدين عملى) . واذا كان المؤلف قد قدم كتابه هدية الى الشباب المسلم ، فانى أتقدم بالرغبة الى ذلك الشباب أن يرعى سمعه هذه الفقرات فى الفصلين المعقودين فى الكتاب للتحدث عن (الكتاب والسنة) و (روح السنة) قال : (وفى هذه الايام التى زاد فيها نفوذ المدنية الغربية فى بلاد المسلمين نجد سببا واحدا يضاف الى الموقف المستغرب الذى يقفه من نسميهم «متنورى المسلمين» من هذه القضية ، ذلك هو قولهم : انه من المستحيل أن نعيش على سنة النبى ، وان نتبع الطريقة الغربية فى الحياة فى آن واحد ، ثم ان الجيل المسلم الحاضر مستعد لان يكبر كل شىء غربى ، وان يتعبد لكل مدنية أجنبية ، لانها أجنبية ولانها قوية وبراقة من الناحية المادية ، هذا التفرنج كان أقوى الاسباب التى جعلت أحاديث النبى ، وجعلت نظام السنة معها لاتجد قبولا فى يومنا هذا . ان السنة تعارض الاراء الاساسية التى تقوم عليها المدنية الغربية معارضة صريحة ، حتى أن أولئك الذين جلبتهم هذه الثانية لايجدون مخرجا من مأزقهم هذا الا برفض السنة على أنها غير واجبة الاتباع من المسلمين ، وبعد هذه المحاكمة الوجيزة يصبح تحريف تعاليم القرآن الكريم لكى تظهر موافقه لروح المدنية الغربية أكثر سهولة) .

وان كان لايزال فى قلوب جميع المسلمين موضع للعبرة والاتعاظ ، فليسمعوا ختاما الى هذه الفقرات التى ختم بها ذلك المسلم الغربى كتابه (واذا اعتبرنا الامور على ما هى جارية عليه اليوم فان الاسلام يشبه مركبا يغرق ، وكل يد تستطيع أن تكون عونا فانما الحاجة اليها على ظهر المركب نفسه ، ولكن لا يمكن أن ينقذ هذا المركب من الغرق ، الا اذا أصغينا الى القرآن الكريم وفهمنا قوله : (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر

حقا ان شهادة (محمد أسعد) لدين الاسلام ولكتاب الاسلام ، ولسنة نبى الاسلام ، شهادة مسلم عرف الاسلام بعقله وعلمه وايمانه ومن ثم رأيت من الدعوة الى الحق أن ألفت الى هذه الشهادة أنظار من أهدى اليهم كتاب (الاسلام على مفترق الطرق) من شبان المسلمين



(بقية : المرأة فى الشريعة الاسلامية)

هذا هو قول جمهور أهل المدينة والفقهاء السبعة ، وبه أخذ مالك ، وأصله ما روى عن عمرو بن العاص مرفوعا : عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى تبلغ الثلث من دينه • قال ابن عبد البر واسناده ضعيف الا انه اعتضد بقول ابن المسيب هى السنة• قال الباجى : واختلف على عمر وعلى فروى عنهما باسناد ضعيف انها على دية الرجل فى القليل والكثير ، وبه قال ابو حنيفة والشافعى ، وروى عنهما مثل قولنا اى قول المالكية من انها على النصف من دية الرجل •

هذا هو حكم المسالة فى المذاهب الاسلامية ، ولايخفى أنه بعد الحكم بضعف الحديث تبقى المسالة اجتهادية ولا يكون المذهب الفقهى حجة على الاسلام اذا خالفه غيره ، فكيف اذا كان سنده ضعيفا • وقد تساويا فى القصاص فى القتل والديه انما هى تقويم للدم فلا مندوحة عن التساوى فيها أيضا •

والخلاصة أن المرأة فى الاسلام لها مركز اجتماعى هام ، ولها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات فهو يعتبرها عضوا عاملا فى الهيئة الاجتماعية : تسعد الامة بسعادته ، وتشقى بشقائه ، ولم يزوعنها من التكاليف الا ما زوته عنها الطبيعة ، وكان لايتوافق وكرامتها التى يحرص كل الحرص على حفظها وعدم المساس بها •••

وقد تبجحت الامم المعاصرة كثيرا بتحرير المرأة ، ولكنها ـ قانونيا ـ لم تسمح لها بعشر ما سمحت لها به الشريعة الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا ، اللهم الامظاهر فارغة وتمويهات باطلة تغر وتغوى ، ولكنها لاتغنى من الحق شيئا • فمن السخف المقارنة بينها وبين الحقائق الثابتة التى لايتطاول اليها الشك والارتياب •

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

الإسلام وحقوق الانسان

للاستاذ السيد رشيد الدراوي

قبل ان اقصد توا الى الموضوع ، ينبغي ان ارسل بعض الاضواء ولو ضعيفة ، على الحالة التى كانت تعيشها البشرية فى عالم ما قبل ظهور الدعوة الاسلامية الجديدة ، واشراق شمس الرسالة المحمدية الخالدة فقد كانت البشرية آنذاك تعيش فى عالم مجرد عن النظم والقوانين التى تنظم حياة الانسان ، وتجعله شاعرا بما له من الحقوق ، وما عليه من الواجبات ، وسواء فى ذلك الالاهية والوضعية ، وحيث اصبح الناس لا يتقيدون بقانون ولا يخضعون لنظام يوجههم ، ويخط لهم السبل الواجب اتباعها ، والسير داخلها ، وتقرر عقوبات وحدودا تقام على من زاغ عنها او تجاوزها ، وحتى اذا صار الانسان فى مأمن من القانون وعقابه، اطلق لنفسه العنان، فمن سابح فى نهر من اللهو والصهباء ، الى غارق فى بحار من الدماء والاشلاء ، ومن عابث بالمقدسات والاعراض ، الى مستهزىء بالقيم الروحية والديانات السماوية ، ومن عابد لاسلافه الى ساجد للاصنام وما الى ذلك • وهكذا تقسمت حياة الناس ، وصار كل يتجه حسبما يلذ له ويهواه ، غير مكترث بما يجرى خارج عالمه الذى يعيش فيه ، ولا عابىء بدعوة الله الموجهة الى الناس بواسطة انبيائه ورسله ، وبالتالى دعاة الاصلاح والتجديد ، الشىء الذى جعل هذه الحياة غير طبيعية وصيرها تقترب من الغباء ويقترب منها ، ولما تستكمل مهمتها التى رسمها القدر • اذن فقد كان من اللازم تنفيذا للخطة المرسومة التى لم تستنفذ اغراضها بعد ، ان يظهر فى عالم الوجود شخص له من قوة الروح وصلابة العزيمة وصفاء الذهن ، علاوة على كثير غيرها من الصفات التى يتوفر عليها المصلحون والمجددون، الذين يتسنى لهم ان يقبلوا الاوضاع ، ويغيروا مجرى التاريخ ، ويصنعوا عالما افضل ، وقد شاء القدر ان يكون هذا المنقذ وهذا المجدد هو النبى محمدا عليه الصلاة والسلام ، فانبعث من بين جدران مكة دار الشرك ومعقل الوثنية داعيا الى الله وهاديا ومبشرا ونذيرا ، وهو يحمل مشعل نور الاسلام الذى ينير العقول ويغذى النفوس ويهدى للتى هى اقوم ، وقد كانت دعوة الرسول هذه تمتاز بخصائص ما كانت لغيرها من اللواتى سبقنها وهذه الخصائص هى :

1) انها خاتمة الشرائع الالاهية والديانات السماوية •

2) مطالبة جميع المكلفين باتباعها •

3) عدم قبول غيرها •

وبديهى ان دعوة امتازت بهذه الخصائص والمميزات لا بد وان تكون اصلح للناس ، وأوفى بحاجياتهم وان تكون أقدر على تحقيق امانيهم واضمن لانواع سعادتهم لان الدعوة الى شىء واحد دون ما سواه ، وهو ما دعا اليه رسول الانسانية عليه السلام ، بامر من الله ووحيه ، دعوة دائمة كفيلة بخير النظم والقوانين التى تحقق الاسعاد للناس ، واصلاح المعاش والمعاد، اذا هى روعيت وعمل ضمن اطارها ، وان القاء بصيص من النور على تلكم النظم والقوانين ليجعل الانسان متحققا من الضمانات التى تتكفل بها الدعوة الاسلامية لكل من اعتصم بحبلها ، ولم يحد عن تعاليمها السامية •

مظاهر الحرية الشخصية فى الاسلام

ينبغى قبل التعرف على مظاهر الحرية الشخصية كما يراها الاسلام ، ان نعرض الى جوانب الحرية الشخصية وهى دائرة بين الحريات الاتية :

1) حرية البقاء •

2) حرية العمل •

3) حرية الرأى •

4) حرية الاعتقاد •

1) اذا كان للانسان اختيار فى تصرفاته من سفر واقامة ، وملازمة البيت او مغادرته ، وذهاب وجيئة ، وهو آمن مطمئن دون ان يخشى اعتداء يجعل لحياته حدا ، وذلك بنزع روحه واراقة دمه ، فقد حصل على التمتع بحرية البقاء والحياة •

ا) اذا كان للانسان اختيار فى تصرفاته من سفر واقامة ، وملازمة البيت او مغادرته ، وذهاب وجيئة ، وهو آمن مطمئن دون ان يخشى اعتداء يجعل لحياته حدا ، وذلك بنزع روحه واراقة دمه ، فقد حصل على التمتع بحرية البقاء والحياة •

ب) واذا كان غير قاصر ولا مضروب على يده ، يجول فى المال والمتمول كان النفع يختص به او يعمه وغيره بالبيع والشراء ، والاخذ والعطاء ، وانشاء المشاريع ، والمساهمة فيها ، من ابناء شعبه ، وكذلك له الحق فى ان يتعلم من العلوم والفنون والمهن ما شاء ان يتعلم ، دون ان يعترضه احد، ودو ان يعتدى هو على احد ، اصبح يملك من الحقوق حرية العمل •

ج) وحيث كان له من الاراء والاتجاهات ما يناقض رأى حاكم البلاد واتجاهه ، الذى يرى انه لا يتفق وحقوق الانسان ، وكان له حق الاعلان عن رايه الذى هو مناقض ومناهض لسلوك الحاكم وتصرفاته ، وحق دعوة الحاكم الى الرجوع الى الصواب ، واقرار العدل بين الناس ، والنزوع عن الجور ، وذلك بحكمة وموعظة حسنة ، من غير ان يصاب

باذى . ولا عومل بعنف . ولا لحقه اى ضرر كيفما كان ، من اجل موقفه ، صار له حرية الرأى ·

د) فاذا ارتضى الانسان لنفسه عقيدة ودينا ، واخذ يقيم شعائرها كيف يشاء ومتى يشاء ، دون ان يلحق غيره بضرر او يمسه باذى ، اصبح يتمتع بحرية الاعتقاد ·

وعلى ضوء ما سلف واشباهه يتبين ما يعنى بالحرية الشخصية ، اذن هى حق يخول لصاحبه التمتع بالحياة والبقاء حسب ارادة الله ، ومزاولة ما تميل اليه نفسه من الاعمال ، واعلان آرائه حسبما يشاء وكذلك المبادىء والعقائد ، ولاكن التمتع بكل ذلك يراعى فيه تجنب العدوان ، كما تراعى فيه الحدود ، والعمل ضمن اطاراتها ، والا كانت الحرية ضربا من الفوضى ، كسلب الاموال من اربابها والاستهتار بالحقوق والمقدسات ، والاعتداء على الغير ومهاجمة الشرائع ، وعدم الاكتراث بالآداب الاجتماعية ، وما الى ذلك مما يصير كل من صدر منه ما ذكر غير حر ، وانما هو فوضوى مجرم ، يستهدف بعمله هذا الى العقوبة والحرمان من الحرية ·

فضل الاسلام على الحرية الشخصية

لقد عرفنا من خلال العرض السابق جوانب الحرية ، ولكى نتعرف على ما لها من قيمة فى الاسلام ، ينبغى ان نعرض الى بعض نماذج الحرية فى الدول التى كانت ذات نفوذ وسلطان وقت ظهور الاسلام ، والى الحرية فى الاسلام ، وما له من حسن الرعاية وكامل العناية بها ، مما يمكننا من المقارنة بين الحرية فى الاسلام وبين الحرية فى غيره · ولنشر الى اشهر الامم وقتذاك وهى : الرومان ، الفرس — العرب ·

اما الرومان فقد عرفت بعداوتها للحرية ، وبكونها مهد الاستعباد والاضطهاد ، يدل على ذلك انها كانت تتكون من طبقتين: الاشراف والدهماء، وليست ثمة طبقة تتوسطها · اما الاولى وهى طبقة الاشراف فقد كان لها من الحقوق والامتيازات ما بين الامارة والقيادة والسلطان والتملك للحقول والضياع والتمتع بسكنى القصور وركوب الجياد وما الى ذلك من مظاهر الفخر والعظمة ، حتى اصبح ذلك وقفا عليها ، وحراما على الطبقة الاخرى ولو التفكير فى مشاركتها حتى فى عالم الخيال ، علاوة على الاستبداد والتصرف المطلق ، ونشر الذعر فى صفوف تلك الطبقة المستعبدة البائسة، لان اولائك الطغاة لا يخضعون لقانون ولا يسالون عما يفعلون ·

واما الفرس فكانوا اسوا واكثر ظلما والعن استبدادا واشد قسوة ، لانه لم تكن لهم قوانين موحدة مثل الروماني ، بل كان كل اقليم منهم فريسة استبداد الميول والاهواء ، وكانت الرعايا تعيش فى زوايا الاهمال ، لا يعنى بها الا من حيث جباية الاموال ، لتنفق فى الملذات والشهوات ومظاهر الزينة والترف ، الشيء الذى حرم سواد الشعب من حقه فى الحياة ، وذلك ما كان سببا فى انتشار الفوضى ، وتوالى المحن ، وشمول الظلم والخراب ، وتنوع المآسى التى يرزح الشعب تحت كابوسها دون ان يجد ' سبيلا للفكاك والخلاص ، وانى له ان يجدها ، وقد جمدت مواهبه وركد تفكيره ، من جراء حياة الشقاء التى يعانيها ·

واما العرب وان كان لهم بعض الصفات الحميدة كالشمم والاباء ونصرة المظلوم وحماية المستجير والكرم والوفاء ، فقد يوجد بجانبها قبائح ومخازى ، مثل وأد البنات ، واستباحة السلب ، واستبداد الاقوياء بالضعفاء ، وعدم الاقتصاص من الاشراف، والزواج بغير استئذان المرأة ولا موافقتها ، والطلاق المرسل الذى لا يتقيد بقانون ولا نظام ، وغير هذا مما لا يزال بحكم التوارث والتعاقب فى الاجيال من المظالم والاستهتار بالحريات ·

هذا وحيث ذكرت حالة الزواج والطلاق عند العرب ، فانه لا يفوتنى بصفتى رئيس محكمة شرعية ، تعرض امامى يوميا عشرات المناظر التى تتمثل فيها مآسى الزوجية والطلاق ، الذى هو حق للرجال وحدهم ، يستعملونه لمبرر ولغير مبرر ، وذلك ما يخلق للمجتمع كثيرا من المصاعب والمشاكل التى يستعصى حلها ، مثل تفكك الاسر ، والانحلال الخلقى ، وتربية الاجرام فى الابناء الذين يفقدون رعاية الاباء ، ويحرمون ذلك العطف الابوى، ويصبح وجودهم فى الشوارع يهدد المجتمع وينمى فيه غريزة الاجرام والشر ، تلافيا للموقف وتخلصا من هذه الادواء ، أن اقترح على من يعنيهم الامر ان يعملوا على تشكيل لجان لدراسة الامراض الاجتماعية ، تختص كل لجنة بدراسة جانب من جوانب المجتمع ، على ان يكون لافراد اللجان من الكفاءة والاختصاص والشعور بالواجب ما يمكنهم من اداء رسالتهم على الوجه الاكمل ، وعلى ألا يكون هؤلاء الافراد من الرجعيين المتحجرة عقولهم ، وهم اسارى التقليد ، ولا من المجددين الهدامين الذين تتبخر المعانى فى رؤوسهم ، وعلى ضوء هذا توجد حلول لكثير من المآسى الاجتماعية والمشاكل الوراثية وبذلك نخلق مجتمعا افضل ·

يتبع





اصبحت الدعاية فى العصر الحاضر بمثابة العمود الفقرى للحكومة والجماعات والافراد على السواء ، فما من مصلحة حكومية ولا هيأة سياسية او اقتصادية ، ولافرد يريد القيام بعمل يجلب اليه الربح ويدنيه من النجاح ، الا وكانت الدعاية اول ما يهتم به ويفكر فيه ، ويبسط اليد فى الانفاق عليه بسخاء ، وكلما تقدمت الامم علميا ، والمجتمعات رقيا ، ازداد تعلقها بالدعاية وقدرتها على التفنن فيها والابتكار ، والمتجول باوربا وامريكا من اهل افريقيا وآسيا ياخذه العجب العجاب من افتتان القوم بها ، وصرفهم الاموال الباهظة عليها ، وتكيف مجتمعهم وتفكيرهم بها ، ودخولها فى نظام حياتهم ، والتصاقها بحركاتهم وسكناتهم ، تغشاهم فى فى المنازل ، وتتبعهم الى المصانع والمشاغل وتنفذ الى آذانهم اذا فتحوا المذياع وتثب الى أعينهم عندما يدخلون دور الخيالة ، وتطالعهم فى منعطفات الشوارع ، وواجهات المتاجر فى اشكال واوضاع ، تثير فيهم غريزة الاستطلاع ، وتحرك جبلة استكشاف المجهول والتعرف على الممتع الطريف مهما حاولوا الانصراف عنها والابتعاد

والدعاية سلاح ذو حدين ، ومهمة رفيعة ووضعية شريفة اذا اريد بها جلب المصالح ودرء المفاسد والدلالة على الخير ، والتنبيه الى الحسن والجمال ، ووضيعة ان استعملت اداة للفساد ، ومطية الى الشر ، ووسيلة الى المنكر والاثم والبهتان ، والدعاة يرتقون ـ اذا ارتقت مقاصدها ـ حتى يصلوا الى مقام الصديقين والشهداء والصالحين ، ويسفلون ـ اذا سفلت اغراضها ـ حتى يحلوا درك الأبالسة المردة والشياطين ، وهم على العموم ممن يشملهم قول الرسول عليه السلام : ـ(الدال على الخير كفاعله ٠ والدال على الشر كفاعله)

والدعوة الى الحق فرض اسلامى اكيد ، وركن من اركان الدين متين ، انها هى بالذات الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى كان به المسلمون خير امة اخرجت للناس ، والذى يتجاوز الله عن غيره ولايتجاوز عنه (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله) ولانصيحة لله والرسول اعظم من الدعوة الى الله



والاشادة بدينه ، وهداية الناس الى قرآنه ، وتخليقهم بفضائله ، ومحاسن صفاته (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) ؟

ومـا كان المسلمون فى الصدر الاول يقعدون عن الدعوة الى الله والارشاد الى الحق والهداية الى الصراط المستقيم ، لقد كان الواحد منهم يعد نفسه جنديا معبا لنصرة الدين والتبشير به والمجادلة عنه ، اسوة بامام الدعاة ، وسيد الهداة ، محمد رسول الله ، دعا ابوبكر عثمان ، وأسلم عمر على يد خباب ، وآمن ابو ذر بتفهيم على ، وما كان شىء من الاذاية والارهاق ليصرفهم عن كلمة حق يقولونها ، او دعوة الى الله يدعونها ، فالدنيا فى نظرهم فانية وما عند الله خير وابقى للابرار ، و (أن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم أو مما طلعت عليه الشمس) كما ورد فى الحديث

والتاريخ يحدثنا عن أثر الدعاية فى نشر الدين وتكثير سواد المؤمنين فكم من قبيلة اعتنقت الاسلام ، وشعب انتظم فى سلكه ، لابدماء مراقة ، ولا بأرواح مزهقة ، ولكن بالسنة وهبها الله حسن التعبير ، وحباها لطف الابانة ، فنفذت منها الالفاظ الطيبة الى القلوب وانطلقت منها الاقوال الصائبة الى العقول (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لاتبديل لكلمات الله)

وما أحوج الاسلام اليوم الى دعاوة مخلصة ، من نوع تلك التى كانت فى الصدر الاول ، وما افقره الى دعاة مهرة مخلصين من طراز معاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، يبشرون ولا ينفرون ، وييسرون ولا يعسرون ، ويدمغون الاباطيل ويدرؤون الشبهات فقد كثر الكائدون للاسلام وتعددت وسائلهم لتشويه محاسنه ، وقلب حقائقه ، وبذر الشكوك والريب فى نفوس الضعفاء من ابنائه ، (يريدون ليطفؤوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)

ومن دون ريب ستكون مهمة هؤلاء الدعاة شاقة ، وتكاليفهم عسيرة لانهم سيقاتلون فى ميدانين ويجالدون عدوين ، عدو من الخارج بلغ به التعصب الدينى والسلالى الى الدرجة التى يرى معها محاربة الاسلام قربة الى الله وزلفى ، وعدو من الداخل ضرره اشد ، وجرحه أنكى ، ولكن الايمان والصبر يذللان كل العقاب ويمهدان كل السبل مهما حفتها المخاطر ، وانبتت فيها الاشواك .

انظر الباقى فى صفحة 24

الضمان الاجتماعي في الاسلام

للأستاذ عبد الكريم التواتي

شهدت الانسانية منذ فجرها الاول، منذ ان اوجدها على هذا الكون بارىء الارض والسماوات القيوم على اطراد اسلوبه في حيواتها ، عديدا من الانقلابات ، سطحية احيانا ، وعميقة الجذور احيانا اخرى ، تبعا للاهداف التي ترمي اليها تلك الانقلابات والبواعث التي تمخضت عنها ، والدوافع التي عبأت القوى الثائرة الموجهة لها . وكانت هذه الانقلابات كذلك ذات مظاهر مختلفة واتجاهات متباينة واغراض قد تبدو احيانا متعارضة الى درجة محيرة ، تبعث في نفوس بعض الباحثين الهلع والرعب، وقد رافقت هذه الانقلابات الانسانية منذ النشأة الاولى ، وكانت تاريخها الحقيقي ومعالمها الباقية الخالدة .

والشيء الوحيد الذي يبعث على الدهشة والارتياح في آن واحد ، في هذه الانقلابات ، وحدة الاهداف السامية والغايات المثلى التي كانت تتجه اليها — ربما غالبا — بطريقة لا شعورية ورغبة لا ارادية ... ونحن لا نستطيع مهما دققنا النظر وامعنا التدبير واستعملنا الفكر ، ان نجد لهذه الانقلابات المتباينة المظاهر والمتعددة الصور ، الا حقيقة واحدة واضحة ، تتمحض في الرغبة الملحة لدى القائمين بها على السير بالقطيع البشري الضال الى شاطىء السلامة وحياة الهدوء والاستقرار . وهذه الحقيقة كانت وستظل الهدف الاسمى لكل الاناسي مهما اختلفت وسائل كل فريق وتميزت دوافعه وتنافرت — في الظاهر — الاسباب التي يستند اليها . ففي عصور ما قبل التاريخ حيث كانت الانظمة الاجتماعية ، والقوانين الدستورية ، لا تتعدى النطاق القبلي ، ولا تتجاوز محيط الاسرة احيانا ، وحيث كان هذا النظام مثار مشاحنات ومطاحنات تنتهي غالبيتها بحروب طاحنة مدمرة، ما كانت رغبة الفرقاء المتحاربين — ذودا عن الاسرة او القبيلة — غير انسانية او غير سامية ، وانما كانت انسانية صرفة — في صورتها الوحشية الظاهرة — وكانت سامية بكل ما في هذه الكلمة من معنى . ذلك ان هدف هؤلاء الفرقاء كان دوما وابدا ، العمل الحاسم ، للمحافظة على الانسان في الاطار الضيق الذي كان يفهمه انسان ذلك العصر ، اذ كانت الوشائج الاجتماعية لم تتبلور بعد في افهام اولئك القوم الذين ظلوا طيلة اعمارهم لا يحسون الا اخطارا محدقة بهم من كل النواحي ، وكوارث محيطة بهم من جميع الجهات : العناصر الطبيعية التي تبدو لعقولهم ذات الافق الضيق معاكسة لاهدافهم ومضادة في اكثر الاحايين لرغباتهم ، والظواهر الكونية التي لا تستند — في محيط فهمهم السطحي — الى اي قانون ثابت يمكن الاعتماد عليه ، أو أي اساس يتفق وما يحسونه او يهدفون اليه ، ثم جهلهم المطبق ، ما توصل اليه انسان العصر الحديث من وجود ارتباطات وثيقة ووشائج عميقة الجذور بين تلك الظواهر والعناصر، وبين تكييف حياة الانسان على الارض بوصفه الكائن الحي الذى عليه ان ينظم نفس وجوده وكامل كيانه مع ما يتفق ومبادىء هذه الظواهر والعناصر . كل ذلك دفع بالانسان الاول الى عدم الاطمئنان الى مصيره المجهول ، ومصير مستقبل ابنائه الذين انحصرت فيهم — في نظره — كل المعاني التي يحسها ويتذوقها ، وكل الاهداف التي يرمي اليها ، وجميع القيم التي يمكن ان تكون لنفس حياته .. وبالتالي دفعه هذا الاعتقاد — الذي لم يكن خاطئا من كل وجوهه — الى العمل في دائرة ضيقة ، هي مكافحة كل ما قد يتراءى له خطيرا على ذلك المصير وذلك المستقبل . ويجب ان نقرر هنا بان التفكير في المصير ومستقبل الابناء كان اللبنة الاولى لفكرة ايجاد مجتمع قار ذي خصائص انسانية عالية .

ثم تطورت الانظمة الاجتماعية ، والقوانين الدستورية ، تبعا لتطور ادراك الانسان للعلائق القائمة بين حياته وبيئتها ، وبين وجوده ومصيره وكون مع مرور الايام — وبعد محن كانت شديدة الوطأة عليه ، قاسية التاثير على نفسه — افكارا ونظريات اصيلة ، ناضجة حينا ، وفجة مائعة احيانا اخرى ، ظلت هذه الافكار هي الاخرى تدور في فلك واحد هو البحث الدائب المتواصل لتحقيق حلم الانسانية ، المنحصر دائما في ايجاد عالم افضل ، وحياة احسن ، ومصير اكثر طمانينة مما كان يحس به انسان يومئذ .

ومن يتتبع تطورات الانسان في مدارج تقدمه منذ بداية وجوده الى الآن ، ويقف لحظات قصيرة عند نهاية مرحلة وبداية اخرى ، ويمعن

من ثمرات الحرية

للأستاذ الحاج الحسن بوعياد



فى فترة النكسة

منذ اللحظة الاولى التى فكر فيها فريق من شباب هذه الامة الكريمة، ان يهب لفك اسارها وكسر القيد الثقيل الذى تنوء بحمله، هذا القيد الذى يعوقها عن السير ضمن ركب الحضارة، وضمن مواكب العاملين الجادين لخير اوطانهم وخير شعوبهم كنا نتلفت يمينا وشمالا، فنرى الامم الحرة فى الشرق والغرب تعيش عيشة رضية فى هناء، كلما وجدت للهناء سبيلا، وكنا ونحن نفكر فى طريق الخلاص التى يجب أن نسلكها، نستوحى من تاريخنا ومن امجادنا ومن مبادىء ديننا، ما يدفعنا للعمل من اجل الانعتاق. وهكذا كنا نستعرض حالنا، وما يعانيه شعبنا، فكنا نرى المحتل الغاصب يعمل فى غير كلل ولا ملل، لمحو شخصيتنا والقضاء عليها، باذلا كل جهوده لتشويه تاريخنا، بل ومحقه من عقولنا، ومسخ مظاهر ديننا، متخذا اذنابا من المشعوذين والخرافيين والجامدين تكئة يتكىء عليها، ومن المؤسف حقا ان نرى خصوم المغرب توصلوا لنتيجة فى غير صالحنا كامة لها تاريخ مجيد، وكشعب له دين يحض على مكارم الاخلاق وعلى سامى الخصال. هذه النتيجة كانت متجلية فى برامج التعليم الرسمى للبلاد، فقد كانت هذه البرامج تهدف اول ما تهدف اليه تجهيل الشباب فى شؤونهم الدينية، وتجهيل الشعب فى آن واحد، وكنا كلما حاولنا كشف الغطاء عن اسرار هذه البرامج الجهنمية، نحارب فى غير هوادة، وتحت اسماء مستعارة ليتستر بها الخصم؛ ورغم كل العراقيل التى كان ينصبها لنا الاستعمار، ماكنا لنلين ولا لنخضع ولكن من طبيعة ظروف الاحتلال الاجنبى، كانت جهودنا محدودة، كما كانت لها نتائج محدودة، وكان ان جنينا الشوك والقتاد؛ لقد اصبحنا امة كادت تفقد تقاليدها الكريمة، وكادت تضيع عقائدها الاسلامية الرفيعة، ولغتها العربية الصحيحة – واقولها صراحة – اذ لا اجدى لنا كمخلصين لديننا ووطننا ومواطنينا من الصراحة – فاينما اتجهنا نجد ما يؤلم ويؤسف، فالمعاملات بيننا اصبحت مادية صرفة تسيرها المصلحة الذاتية، فلا شعور بالمصلحة العامة، ولا عطف يدفع صاحبه لمساعدة المحتاج، ولا وازع دينى يقى المرء من التردى فى مهاوى الرذيلة، ولاحياء يمنع من المباهاة بالمخازى، واذا حاولنا الاستقراء والاستقصاء، فلا نقع الا على ما يكاد يدفعنا للياس، فالبادية مثلا نرى سكانها على اسوء حال، يمكن ان تصل اليها امة فقدت المرشد الرشيد، فالجهل ضارب اطنابه بها، واذا قلنا الجهل فنعنى به الجهل العام، سواء من الناحية الدينية او من الناحية الدنيوية، وهذا يصدق على الاغلبية الساحقة من سكان البادية، وان كان فيهم امل فذلك من حيث كونهم لايزالون على شبه الفطرة الدينية، انهم سريعوا الاستجابة لواعظ او مرشد، ومن هنا بقى عندنا امل فى اصلاحهم.

اما سكان المدن فالامر فيهم اشد وانكى: فعوامهم تركوا كالسائمة فلا مرشد ولا واعظ ولا ناصح، وكان ان ترك الميدان للافكار الفجة تصول وتجول، وما وسع العامة الا ان يفرغوا انفسهم لشؤونهم المعاشية، وبيدهم مقياس واحد وهو المصلحة المادية؛ فالتاجر والصانع كل منهما له هدف واحد: هو أن يربح، واذا ربح فتلك غايته. ولكن الداهية القاصمة جاءت لامتنا فى خفاء اسرار الشريعة الاسلامية، وسماحة مبادئها وتاريخ الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وتاريخ الاسلام ممثلا فى دوله ورجاله وعظمائه، خفاء كل ذلك على كثير من شبابها، فالملاحظ، ويا للاسف ان جل شبابنا يتكلمون عن الدين الاسلامى كاجانب عنه، بل يتعجبون من كثير من مظاهره، كالصوم والصلاة، اما اذا اتجهت للناحية التشريعية فى شؤون المرأة والاحكام الجنائية وغيرها فلا تسمع الا العجب العجاب.

فنحن بهذا الاستعراض الموجز امكننا ان نضع اصابعنا على مواطن الداء فى كيان امتنا. وكل ما ذكرناه لايشمل الا نواحى قليلة، فتتبع الحالة من سائر النواحى ليس بممكن فى عجالة قصيرة كهذه، وكل مغربى له شعور بمصلحة الامة يعلم الكثير ويرى الكثير، فما وقع لنا فى فترة نكستنا لولم تحطنا الالطاف الخفية، وتشملنا رعاية الله، كان كافيا لان يذهب بنا مع الذاهبين

في فجر الاستقلال

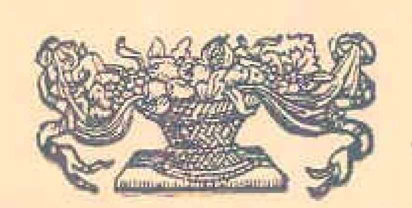
والآن وقد من الله جلت قدرته علينا بنعمة الاستقلال واسترجعنا حريتنا المغصوبة ، تعين علينا ان نتيقن ان هذا الاستقلال ليس له من معنى في ظرفنا الحاضر الا فك القيد عنا وقدرتنا على العمل لرفع كل ضرر احاط بنا من جراء الخمسين عاما التي مرت بنا وكلها ضنك وآلام وحرب على مقوماتنا ومقدساتنا . لقد ترك لنا الاستعمار الظلوم تركة عفنة ثقيلة ، فلكي ننظف ، ولكي نزيح عنا هذه الاثقال ، يجب ان نتكاثف ونعمل في اتحاد ووئام ونتوزع العمل كل في ميدان يظن ان ينتج فيه ، وهذه اول ثمرة من ثمرات الحرية ولاشك . ان اول مرحلة للعمل هي البيان والشرح ، ولقد كان من توفيق الله لامامنا الفذ نصره الله وادام عزه وتوفيقه ، أن اصدر امره الكريم الى وزارة الاوقاف لاصدار مجلة تقوم بـ (دعوة الحق) بين المواطنين المتعطشين لبيان العلماء ، وخطابة الخطباء ، وارشاد المرشدين . وليست هذه اولى الاعمال الصالحة لجلالة ملكنا المؤمن ، فجلالته خير من يعرف ان الشعب المغربي شعب مسلم ، شعب مومن ، شعب له مجده في التاريخ شعب مرت به محنة فظيعة تناولت كيانه من الاساس ، ولايمكن ان يسترجع مجده ، ولا ان يكون عضوا عاملا في الحقل الدولي ، الا اذا طهر كيانه من الادران التي علقت به ، والا اذا توفر على رجال وشباب لهم معرفة بالدين وحقائقه ، واطلاع واسع على قوانينه واحكامه واهدافه ، يعتزون بهذا الدين ، ويفخرون بعروبتهم وعربيتهم ، وهذا لايتاتى الا بنشر الحقائق المستورة ، وشرح ما هو مستغلق على شبابنا ، وبيان الاغراض الدنيئة التي يرمي اليها اعداء هذه الامة من وراء بث الشبه عن هذا الدين السمح بين شبابنا المثقف ، باسم العلم والبحث . والقيام بهذه المهمة على أحسن وجه ، لايكفي فيه تحبير المقالات ونشرها ، بل يجب تنظيم محاضرات بعموم المغرب مدنه وقراه مداشره وصحراه ، لاطلاع عامة الشعب وخواصه ، ممن لم يمكن لهم الاطلاع على شؤونهم الدينية ، على كل ما من شأنه ان ينير الافكار والعقول ويهدىء القلوب الفزعة . **فنحن وان سررنا بهذا المشروع الجليل الذي نؤمل من ورائه الخير الكثير لنا ولناشئتنا ، فنرجو أن يتسع افقها لابحاث نراها مهمة ونحن في اشد الحاجة اليها ، ابحاث تتعلق بالتشريع في البلاد ومعالجة هذه المشكلة بروح اسلامية نيرة خالية من التعصب والجمود ، ونحن اذا ما عالجنا هذه المواضيع علاجا يتفق وروح ديننا ، وروح عصرنا ، وروح عهدنا الجديد ، نكون قد اسدينا لانفسنا ولشعبنا وللعلم خدمة نرجو الله ان يجازينا عنها جزاء العاملين المخلصين .**

ولنتصور اننا نعمل هكذا :

كتاب يكتبون ، يشرحون ويبينون ، ليدفعوا زيغ الزائغين ويظهروا المستور المجهول لدى الشعب من تاريخ مشرق ودين سمح ومبادىء سامية مستلهمة من الوحي السماوي المنزه عن العبث والمجون ، خطباء محاضرون في المدن والبوادي دعاة للحق ، السنة للصدق ، يسالون فيجيبون بما يزيح العلة ، ويشفي الغلة ، بالمساجد ، والدور ، والاندية والمدارس ، والمعاهد ، ومحطة الاذاعة الوطنية ، والسجون ، اذ هذه الاخيرة في غاية الاحتياج الى من يلتفت اليها ، ولنا في الميدان الاجتماعي مجال واسع كمحاربة الرذائل والحض على الفضائل باساليب مقنعة ، وحجج دينية وعلمية سليمة مسلمة ، **رجال خصصوا انفسهم للنواحي القانونية من مدنية وجنائية يمدون وزارة العدل بمادة تعينها فيما هي بسبيله في التنظيم القضائي سواء من ناحية شكله او من ناحية موضوعه ، ووزارة التعليم ليست في غنى عن رجال الفكر والدين لتسترشد بآرائهم وتستعين ببحوثهم .**

ونحن على يقين من ان اخواننا العلماء والكتاب والباحثين ، لو خصصوا وقتا من اوقاتهم لهاته النواحي ، فلا يمر غير وقت قصير ، الا ويظهر اثر ذلك من ناحية الثقافة العامة ، ظهورا يسر كل غيور على هذه الامة ، ويجب ان يعلم كل مغربي ومغربية ان شعوب العالم كلها تتطلع الينا ترقب سيرنا في عهد الاستقلال ، وهل نحن نسير سير رشيد مجد ، ام نلهو ونلعب ونعبث وعلى قدر رجولتنا وشهامتنا يتوقف اعتبارنا بين الامم

فالشكر لله ثم لجلالة ملكنا المفدى على هذا المشروع الجليل ، اعان الله الهادين اليه والقائمين عليه ، وهو سبحانه ولي العاملين المخلصين والمسؤول وحده للتوفيق والرشاد



النظر في تلك التيارات النفسية الجارفة، والانفعالات الروحية الدافقة، التي كان يحس بها آباؤنا وهم مقبلون على انقلاب ومدبرون عن آخر.. يحس في اعماقه ببراكين الطموح الفائرة، التي كانت تدفع الانسانية دائما الى السمو الحقيقي والطمانينة الابدية.

وما كانت الاطوار التي مرت بها حياة الانسان القانونية من السلطة الابوية، فالسلطة القبلية، فالنظام الشورى، فسلطة الفرسان، فالسلطة الدينية، فسلطة النبلاء والعظماء، ثم سلطة عصر النور الذى نحياه الا محاولات كانت – وستبقى – تهدف نفس الاغراض السامية التي وعتها الانسانية في عقولها الباطنية منذ الازل.

ثم كانت الشرائع السماوية، فكانت غايتها العظمى، ورسالتها النبيلة، جعل الانسان يشعر حقا بما كان يصبو اليه، على انه حقيقة اقرها واجب الوجود وواهب الحياة، وآمن بها الرسل، فهم يجعلونها رسالتهم ومناط اعمالهم ومنتهى آمالهم وجعل الانسان ايضا يعيد الامل الى نفسه، حين يرى في حرارة الايمان الصادق كيف ان احلامه في بناء عالم افضل ليست خيالا او شطحات، وانما هي حقيقة كامنة في اعماقه كمون الماء في العود، فكان الشرائع الالاهية، انما جاءت لتذكر الانسان بقدرته على تحقيق ما يشعر به اذا هو استنار بوحي الله وسبحات افكار الرسل والانبياء ودعوات الصالحين الاتقياء.

واذ نعتقد ان لا مندوحة للعالم من بناء جميع اسس وجوده، اقتصادية وسياسية واجتماعة على اساس العمل، لتحقيق الغاية المثلى التي من اجلها اوجد الانسان على هذه الارض، وحمل الامانة العظمى، نرى من جهة اخرى ان لا سبيل للوصول الى هذا البناء الا على اساس وجود ضمان اجتماعي لجميع طبقات شعوب العالم لان ذلك وحده هو الذى سيجعل هذه الطبقات – وهي الوجود – تطمئن الى حياة وجودها ومصيرها، وبذلك تتجه – تلقائيا – اتجاهات انسانية انشائية بناءة، ستبعد عن عالمنا هذه الهزات العنيفة المثبطة، وتلك الرجات من الاهواء المدمرة، ثم هذه الحروب المخربة المحطمة.

والمغرب – وهو في طور انقلابات خطيرة في حياته الجديدة المحفوفة بالمخاوف والمخاطر والآمال – يجب ان تعبأ فيه جميع القوى، وتتضافر جميع الجهود، لجعل مستقبله مبنيا على اسس متينة من الضمان الاجتماعي كما يرى هذا النظام الاسلام الذى هو الدين الرسمي للامة المغربية، ولتهيئة هذا المغرب الجديد ليحتل المكانة السامية التي تتناسب والمركز الذى يجب ان يحتله من محيط التيارات الانسانية الحديثة.. وللتذكير بهذا الامل نرجو – ان سمحت العناية الربانية – ان نكتب فصولا عن الضمان الاجتماعي كما يراه الاسلام، شاكرين منذ البداية لمجلة (دعوة الحق) هذه الفرصة التي اتاحتها لنا، مؤملين في نفس الوقت لوزارة الاوقاف – والاوقاف كانت في عديد من الوجوه مما قد نتعرض له في فصولنا المقبلة، محاولات لتقعيد نظام الضمان الاجتماعي في العالم الاسلامي – توفيقا ونجاحا تحقق بهما الغاية السامية التي من اجلها فكر اباؤنا في يجاد ما يسمى بالاوقاف.

للحديث صلة



– بقية «الدعوة الى الحق»

والشرط الاساسي للنجاح ان يعطى الدعاة امثلة عالية من انفسهم على النبل والكمال (يا أيها الذين امنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) فيعظم ايمانهم بربهم، ويشتد نشاطهم في الدعوة الى طريقه وتستقيم سيرتهم، ويتوفرون على وسائل الاقناع الحديثة، ويجتنبوا الطرق العقيمة القديمة، فما كان لانسان القرن العشرين ان يقتنع بالمنطق اليوناني، ولا بالجدل الكلامي وفي القرآن – والحمد لله – من وسائل الاقناع الطبيعي والفطرى ما يفحم كل مريب ويقطع لسان كل متخرص (وما يعقلها الا العالمون)

ولا ريب ان مجلة (دعوة الحق) ستسد ثلمة طالما اقضت مضاجع المهتمين بمصير الاسلام في المغرب العربي والراغبين في الدفاع عنه والمنافحة، وهي من حسنات امير المومنين محمد الخامس اكبر الغيورين على الاسلام والمفكرين في تجديد شبابه، والمحافظة على كنوزه وذخائره وعسى ان يلتف حولها العلماء والادباء المشبعون بحب الملة الحنيفة السمحاء حتى تستطيع ان تؤدى رسالتها على الوجه الاكمل، ولتكن خطتهم في العمل هي تلك التي نهجها الله لهم بقوله:

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله، وهو اعلم بالمهتدين)

دعوة الحق

للأستاذ السيد محمد الطنجي

دعوة الحق أعيدى ... للهدى أزكى عهود
واجعلى للحق من مغـ ... ـربنا خير جنود
ورافعى أعلام ايما ... ن على هذى النجود
واطلعى كالشمس فى كـ ... ـل القلوب من جديد
مثلما قد طلع النـ ... ـور على قلب الجدود
جددى الدين بأحكـ ... ـام كتاب وحدود
وبما ربى به النـ ... ـاس من الخلق الحميد
لا كما ظن أناس ... بانحلال وجحود
أوغلو فى اعتقاد ... وابتداع وجمود
فامحقى كل ضلال ... واردعى كل مريد
واصدعى بالحق جهرا ... دون ضعف أو برود
وانشرى أخلاق اسلا ... م على الجيل الجديد
تنعش الروح وتؤويـ ... ـهم الى ركن شديد
وتربيهم بايما ... ن على عزم وطيد
حيث يمضون سراعا ... فى علاء وصعود
ويشيدون صروحا ... ذات تاريخ مجيد
ويعيشون رجالا ... فى مضاء كالاسود
مثلما قد عاش أسلا ... ف على المسعى الحميد
آثروا الدين فسادوا ... فوق أقيال وصيد
فتحوا الدنيا وزانوا ... للعلا أجمل جيد
فأقاموا لعلوم ... وفتوح كل عيد
ومضوا من بعد ما قد ... كتبوا سفر الخلود

حاجة الدعاة إلى مقومات

للأستاذ عبد الهادي التازي

الحق ان الرغبة كانت ملحة لاستصدار هذه (الدعوة) سيما في عصر كهذا طغت فيه المادة ، واستبدت بالناس الحيرة ، وتملك الاخرين نوع من التساهل والعبث واللا مبالاة . وان الامر – من لدن صاحب الجلالة – باسماع الناس هذا النوع من القول كان في جملة المحامد التي عرفها لجلالته هذا الشعب العربي المسلم الغيور . فمن هؤلاء الذين سيدعون الناس ؟ وهل ان الدعوة مجرد صناعة لاتتطلب من صاحبها اكثر من ان ينصب نفسه امام الناس يأمر ويقترح؟ وهل يكفي لان يصبح المرء داعية ان يتوفر على وعى الكثير من الآى والحديث ليردد امام الناس ما قاله الله ، وما رواه عن رسول الله ؟ هذه اسئلة يجب دائما ان نجعلها نصب اعيننا متى اردنا ان نقوم بواجب الدعوة ٥ انه لمن السهل بمكان ان تقول ، ولكن هل من السهل كذلك ان تحصل على مستمع يميل اليك بقلبه ووجدانه ؟ .. ان العقلاء من القوم دائما يفضلون عدم الدعوة على ان يكون الدعاة غير اهل للدعوة ، اذ ان الخطر فيهم وهم يقومون بها يكون اكثر مما لو سكتوا . فكيف يجب ان يكون دعاتنا ؟ هل من نوع ذلك الطبيب الذى وقف امام الناس يصف لهم دواء يصلح النظر بينما هو لا يستطيع ان يفتح عيونه من داء العيون؟ ان ابرز صفات الداعى ان يؤمن بما يدعو اليه ايمانا لايتطرق اليه الشك ولا يساوره اضطراب ، نعم ان يعتقد وان تظهر عليه هو امارات ذلك الاعتقاد لافقط وقت إسداء النصح للناس ، ولكن دائما : في بيته ، وفي طريقه ، وفي مكتبه ، وفي احاديثه العادية مع الآخرين .. نعم ، نريد ان يكون الداعي مشبعا بالمبدأ الذى يدعو اليه ، فهو يدعو الى الصراحة في القول وانك لن تراه يحال منافقا او مخاتلا وهو يدعو الى الاخلاص في العمل وانك لن تضبط عليه في يوم من الايام تهاونا او خذلانا لجانب الاخلاص ؛ وهو يدعو الى العدل وانك لن تنجح في ظرف ما من الظروف ان تقف عليه وهو يوازن بين كتف الخصوم ، او يتناول رشوة ولو على انها (هدية) من الهدايا ، او تذكار في جملة التذاكير . فمهمة الداعى اذن شاقة فعليه اذن ان يفعل اكثر مما يكون عليه ان يقول ، وان جانبا من الناس يفهمون في الداعى العكس ، بيد انهم يسفهون الداعى حينما يفهمونه هكذا . فما الدعوة الا انعكاس لما تنطوى عليه نفوس الدعاة ، والا انقلبت الى تدجيل وشعوذة وتضليل ان الداعى مرب ، ومن الضرورى لنجاح المربى ، ان يتكيف بالخصال التي يريد ان يرى عليها الذين يتعهدهم والا اصبح عرضة لسخرية الناس وحديثا لهم يتندرون به في المجالس ..



وبعد هذا ، اعنى بعد ان يكون للداعى ثقة بما يقول ، عليه ان يكون خبيرا بطرق التبليغ ، عليه ان يلم الماما تاما باحوال الناس وظروفهم ، فرب مريض ينجح معه نوع من الدواء لاينجح مع آخر ، ومع ان الداء واحد ، والالم واحد ، وليس يستغرب هذا الا من لاخبرة له بسلوك الناس ، وان ما تخاطب به المعاقر للخمور من طبقة عادية من الناس ، ليس هو بحال تماما ما تخاطب به طبقة اخرى تزعم لنفسها التحضر والتثقيف ، ولا تؤمن الا بما يقوله الدكتور (موريس) عن خطر الخمر على حياة الانسان .. وان نوع اللوم الذى يوجه لعابث جاهل ليس هو ابدا نفس العتاب الذى يمكن ان تتوجه به لآخر يسمو به غروره عن معتاد القول ، **وان القلوب مفاتيح لو توفق الدعاة في الاهتداء اليها لتمكنوا من اصحابها كما يشاؤون ، وكما ان الطعام الغليظ الثقيل ، يسبب لمتناوله احيانا اسوأ الامراض ، فكذلك (الدعوة) التي لا يصحبها (ذوق) تفقد كل قيمة ، وقد تستحيل الى جفوة . ولقد ضرب النبى عليه الصلوات المثل للناس ، فكان (يحدث الناس على قدر ما يفهمون) وكان يتخير ظروف الموعظة ، ويكره ان تتجاهل حال المخاطبين ، فكان يعبث بقلوب مستمعيه كما يريد فلا يشعرون الا وهم للخمر يلعنون ، وللاصنام يكسرون ، وعلى ما ضيهم يضحكون ومع ان عهدهم بالخمور والاصنام**

بعيد وعريق . ولهذا كان فى صدر ما يعنى به رجال الحكم فى البلاد المتحضرة ، تخير الدعاة من بين المتضلعين فى علم النفس ، الخبيرين باحوال الانسان ، ونحن لانقصد هنا بالداعى مجرد الخطيب او الواعظ ولكن نتعداه الى الداعى مهما كان : فالاباء فى بيوتهم ، والعمال فى عمالاتهم ، والاساتذ بين طلابهم ، والوزراء فيما يرجع لاختصاصاتهم ، وكذلك الامراء والملوك .. كل هؤلاء (دعاة) عليهم ان يتخيروا انسب الاحوال لدعوتهم حتى تجد مكانها فى القلوب .

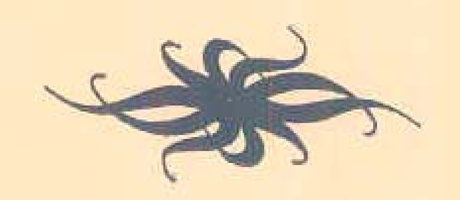
ترب دعوة نفعت فى صيف 1943 ولكنها لو تاخرت بعشر سنوات ، لاصبحت فى عدد المبتذل من القول ، الذى لايؤبه له ، **ورب كلمة فى قوم تفعل فعل الاعاصير ، ولكنها بالنسبة لآخرين لاتعدو ان تكون زقزقة عصافير فجميل بالداعى اذن ان (يستذوق) وحرى به ان لايكون نقمة فى توجيهه للناس** . وما اكثرما يكون نجاح الداعى مضمونا لو انه رجع الى تاريخ الدعاة منذ العصور الاولى ليعرف (الطرق) و (الوسائل) التى تخيروها لنشر دعوتهم . فليس من العبث مجاراة القرءان للعرب اول الامر فى الاشادة بثمرات النخيل والاعناب التى يتخذون منها (سكرا ورزقا حسنا) ليرجع بعد حين ليشهر باثمها الكبير ومنفعتها الهزيلة ، ثم ليحذرهم بعد ذلك من الصلاة وهم (سكارى) . ثم ليفصل فيها بقوله : (فاجتنبوه) كل هذا كان تصيدا للفرص من المربى وتقديرا لظروف الناس

على ان هناك شرطا ثالثا يجب ان يظل شعارا للداعى ، ولا نرى له عذرا فى عدم التمسك به ، ذلك هو التجرد فى دعوته عن (الغرض) **ولست اعنى بهذا ان لايكون للداعى هدف يرمى اليه ، فان تلك هى مهمة الدعوة ، ولكن الهدف الذى نستقذره ونهيب بالدعاة ان يتساموا عنه هو القصد السئ ، الذى يرجى منه فقط التعريض بالناس والتشهير بهم ، وان هناك طائفة من الدعاة اخفقوا ورماهم الله بالفشل والمقت ، لانهم لايهدفون من وراء اقوالهم الا لاثارة الاحقاد ، وتغذية الضغائن ، فليسوا مصلحين اخلاصا للاصلاح ، وليسوا مرشدين تقديرا لواجب الارشاد ، ولكن ليرووا ظماهم من اعراض الآخرين وشخصهم**

وهناك امر رابع جدير بنا ان نلفت اليه الانظار ، انظار الذين يوجهون الناس ، سيما وهو — اى الرابع — يختصر لنا الطريق للوصول الى الغاية التى نتوخاها ، وسيما ايضا وهو يوفر على الدعاة كثيرا من العنت الذى قد يعترض سبيلهم : **علينا ان نوجد (انسجاما) بين الذين يقومون بهذه المهمة السامية ، نعم ، (انسجاما) فى الافكار والغايات فان مما يشتت الفكر ان يهيب احدنا بالناس : ان افعلوا أمرا بينما ينادى الآخر فيهم : ان لاتفعلوا .. وان العصر الجديد بما ظهر فيه من (احداث) ليستحث منا السير نحو تحقيق هذا (الانسجام) لنجد لناس هذا العصر (اقضية) يلجاون اليها عند تلك الاحداث ، اقضية لاترهقهم ولا تضنيهم ، ولكنها فى الوقت ذاته لاتجعل منهم اباحيين يسترسلون الى الحضيض الذى يرجو غيرنا جاهدا ان يتخلص من ويلاته وثبوره . ولست اجهل المتاعب التى قد تقف فى طريق هذا (الانسجام) ولكنى اعتقد انه متى سلمت النية واتسعت الخبرة، وتجرد الناس عن اهوائهم ، لابد ان تتغلب على سائر الصعاب ..**

تلك هى المقومات التى ينبغى ان نتزود بها فى طريقنا الى ارضاء الرغبة الملكية الكريمة ، ونحن اكثر ما نكون اقتناعا — متى لم نحد عن هذا السبيل — اننا سنصبح عما قريب امام مواطنين صالحين ، لا التواء فيهم ولا تعقيد ولا شذوذ . **على الدعاة ان يعرفوا ان العهد الجديد فتح اعين الناس اكثر من اى وقت مضى ، فهم — ولهم الحق فى ذلك — يتتبعون حركات المنتصبين عن كثب ، فاذا كان هذا المنتصب اول من يتحرى ما يقول واذا كان ادرى الناس بالناس ، واذا كان نبيل القصد شريفه ، وجد انصاره ومستمعيه ، والا انفض الناس من حوله ، وساءت ظنونهم به ، ثم لا يلبث ان يمسى فى عداد (دعاة السوء) الذين يامرون ولا ياتمرون ، ويعظون ولا يتعظون**

نحن حقا فى حاجة الى (دعاة) ولكن على الدعاة ان يعرفوا ان سر نجاحهم فى الايمان ، والحكمة ، والنزاهة ، والتعاون

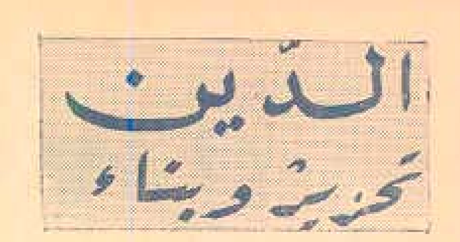


استقلال جميع العرب
هو الكفيل بحفظ مصالح العرب

للأستاذ السيد الهاشمي الفاروقي

ليس للحياة من مزية واعتبار الا عند ما يشعر المرء بعزة قومه وكرامة وطنه ، وليس للحياة من نفوذ ولا وجود الا اذا كان فى العمل احسان ، وبنى على سمو الروح ورسوخ العقيدة وهداية الدين ، وعلى معرفة وخبرة بحيث يكون المرء فى مأمن من نزوات النفس وشهواتها ، وبمنجاة من كثرة اغلاطها واخطائها ، واذ كانت الحياة تستمد نشاطها مما تحس به من رعاية واحترام ، وامتلاك للحقوق واخذ بالزمام ، فلها بهجة ورونق وسر وبهاء ، واذا كان العمل يقوم على تلك الاسس فله اثر عميق وذكر ملموس وسعادة دائمة • ثم الاعمال بالنيات ، والمقاصد معتبرة فى التصرفات ، والامور تبنى على اغلب الوجوه والاعتبارات • فالعمل الواحد قد يكون عملا صالحا يثاب عليه المرء ويؤجر وقد يكون سيئا وآثما وليس ذلك الا بحكم النية والقصد• فجدير بالعاقل ان ينظر فى قصده من عمله فى هذه الحياة الدنيا التى خلقت على الامتزاج بين طرفين ، ووضعت على الاختلاط بين حالين ، حال الالم والامل والخوف والرجاء والراحة والعناء والنعيم والشقاء • فلا يصفو مشربها ولا يلذ ماكلها ، ولا يحيا الانسان كما يريد ان يحيا ، فكل المصالح لا تخلو من مشقة وكل المفاسد لا تخلو من ملذة ، فالمصالح والمفاسد ممتزجتان ، والمشاق والملاذ متصلتان • واذا بنيت الحياة على هذا الغرار واقيمت على هذا النظام ، وكانت مكتظة بالمحن والآلام ، وعامرة بالاماني والامال ، فالانسان يتدحرج فيها دائما بين حالين ، ويعيش بين قدرين ، لا علم له بعاقبة امره ، ولا بمئال حاله ، والامر كله غيب عنه لا يعلمه الا من يعلم غائبات الاشياء وعواقب الامور وهو اجس الصدور ، واذا فما على المفكر الا ان يذهب فى الوجه الغالب ويسير فى الطريق المعبد والصراط الممهد وهو ما امرنا بالعمل لاجله ، ذودا عن شرف الانسانية وحفظ كرامتها ، وخدمة للمصالح الكبرى والمقاصد العليا ، ودفاعا عن الحق حتى يقوم فى نصابه ، وانقاذا له من عيث المفسدين وغلو المستكبرين الذين لا يهمهم الا طاغوت المادة وناموس الشر ، والشر لا ياتى الا بالشر، ومنذ كان الاستعمار وهو شر على الانسانية، وفتنة وبلاء على البشرية ، منذ كان وهو يرمى الى هدفين وغايتين الاولى هتك الكرامة والتلاعب بالميزات التى تميز بين امة واخرى ، والامم تختلف تقاليدها وعاداتها وتختلف نحلها ومللها • والثانية استغلال الكنوز والاستيلاء على جميع الموارد • وعلاج الاولى يكون بالاجتماع والتناصر، فان الذى مكنه من الايقاع بهذا ثم بالاخر وعلم جرا ، هو التخاذل بين الناس، ولو نصروا الاول ووقفوا بجانبه لوقف الشيطان من اول امره • والاجتماع كان وما زال ركنا من اركان الحياة وسرا من اسرارها ، ووسيلة الى الخير والبركة ، وسلما الى العز والرفعة ، ومادة للسيادة والسعادة ، وفيه معان وخواص لا توجد فى التفرد والتفرق • وعلاج الثانية هو تعلم ما تتوقف عليه الحياة الحاضرة من علوم وصناعات لان استغلاله واستيلاءه كان بحجة جهل ابناء البلاد • وتعلم العلوم الحديثة والصنائع الثقيلة ، لا مناص منه طبعا وشرعا ، كيف وهو من باب الدفاع الواجب على المواطنين • ولاكن بعض المغرورين والمخدوعين ظنوا ان الحضارة هى التخلق باخلاق الغرب والتعلق باهوائه وعوائده ، وهو ظن قبيح وغلط فاحش • **انما الحضارة فى تعلم العلوم والصناعات المختلفة التى اضعناها وفى الايمان بالله وبالقيم المعنوية التى فقدناها ، وان الاستقلال الحقيقى لا يتم الا اذا شمل جميع الجسم العربى الممتد من الشرق الى الغرب • فاستقلال جميع العرب هو الكفيل بحفظ مصالح العرب ، ولا سبيل للقضاء على السياسة العمياء ، الا بالتسلح بسلاح الوحدة الذى لا يفل ، والاستمرار فى الكفاح والتضامن الذى لا يمل ، حتى تنكص هذه السياسة على عقبيها ، وحتى تدرك خطر ما اقترفته بيديها • فعلى المسلمين ان يعملوا لخير الاسلام ويهتموا بمصير المسلمين ، ولا سيما المغرب الذى ابلى بلاء حسنا ، وناضل نضالا متواصلا ، يليق بمجده وتاريخه • وما دام شعب الجزائر وهو بين المغرب وتونس منغمرا فى معركة حياة الحرية والغاصب مكابرا ومعاندا فى هذا الحق ، فالاستقلال لم ينته بعد ، والمعركة ما زالت مستمرة ، والمسلم اخ المسلم فى الخير وفى الشر • وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه : ما لى اراكم عزين يعنى متفرقين• والتخاذل كما يكون بين افراد الامة الواحدة يكون بين الشعوب المسلمة فلا يجمل بالعرب ولا بالمسلمين ان يخذل بعضهم بعضا فى هذه المعركة التى تصفى الحساب بين الغاصبين والمغصوبين والله يبشر المستضعفين وينذر الظالمين**





لامراء ان الانسانية تسير عبر الزمان ، وهي متفاعلة مع ظروف الحياة واوضاعها ، مؤثرة ومتأثرة بكثير من بيئات الزمان والمكان ، وعوامل النفس والاقتصاد والاجتماع ومحكومة بدوافع الغرائز ، وايحاءات العواطف والرغبات

وكلما تخطت الانسانية مرحلة من الزمان – لاندحة ان تجد نفسها ملفوفة بركام من المخلفات والرواسب وجملة من الاوضاع والعقائد والمسلمات ، من شأنها ان تطوق العقل ، وتقيد الفكر ، وان تخنق الضمير وتغل الوجدان ، وبالتالي تصادر امكانيات العقل ، وتشل طاقات الاندفاع الخيرة نحو التكامل والاستصلاح

ومن شأن هذه الحالة بعد كل مرحلة من التاريخ ، أن تضع الانسانية في حاجة الى استصلاح ، وان تجلى من اوضاعها المادية والروحية ، مظاهر العجز الذي يدور بالحياة كلها ، دورة مكرورة ممجوجة ، ويعوق حركة التاريخ ان تسير بالانسان الى الامام والذي يجعل من قضية التكامل الانساني قضية لاتفهم ولا يتبين احد نحوها السبيل .

وهكذا كان الدين استجابة لحاجة مفروضة ،وتكميلا لنقص تقف الانسانية عند هوته موقف الجامد المتخاذل ، وبيانا لخطة في الحياة يظل الانسان عن ترسمها متحيرا هيمان . وارشادا لطريق تقف الجماعات الانسانية في بدايته ، وهو سبيلها الاوحد للعروج في ميدان التطور والحياة . وكان الدين اكثر من ذلك واعم تنظيما عاما لشؤون الحياة الانسانية ، وهندسة عملية لمناهج التعايش والسير في الحياة ، وتقويما سليما لانحرفات العواطف والفكر والوجدان .

وهكذا ياتي الدين بعد مرحلة من فوضى العقل والعاطفة واضطراب شامل في اوضاع النفس والحياة . فيكون في المجتمع الذي يحله تحريرا للضمير والفكر ، واطلاقا لطاقات الوجدان الانساني والوعي الكريم فيه ، وتحطيما لكل قيود النفس والضمير التي تفسد الانسان ، وتجعله ينساق في غير وعي مع عواطفه وغرائزه . ومن جهة أخرى ياتي الدين فيكون تنظيمة واعية شريفة للعواطف والمشاعر ، وتهذيبا للمنازع والرغبات ، وتقويما لميول النفس واعوائها ، وفي نفس الوقت تنسيقا حيا لعلاقات الناس ، وتقديما لتصاميم متقبلة تنتظم مناهج الحياة كلها ، وفروع الحركة فيها

للاستاذ محمد الحبيب

وكذلك كان الدين في تاريخ الانسان – ولا يزال ولا يزال – ثورة روحية وفكرية تهتدف هدفين اساسيين :

ا) – تحرير الانسان من اغلال النفس وقيود الضمير والفكر والوجدان

ب) – وبناء الحياة الانسانية بناء تقدميا يهتدف تجنيد جميع امكانيات الخير ، وطاقات الاندفاع في الانسان لاستفراغها في الدفاعة واعية للضمير والفكر ، وانطلاقة انسانية حرة .

كانت حركة كونفوشيوس انطلاقا مثاليا ، وثورة مكبوتة من الاغلال التي كانت تفرضها سلطة الامبراطور ابن السماء في ارجاء الصين .

على حين كانت «الطرق الثمانية» وتجعل بداية المعركة هو الانتصار على النفس عند البوذيين حركة داخلية ، تبتدىء ثورتها من اعماق النفس . ولاتقهر نوازعها ، دون ان تلقى لعالم العلاقات الخارجية والحياة الاجتماعية للفرد اى اهتمام . ولذلك ظلت تتردد في عالمها الداخلي فلم تستطيع ان تـرج الحياة الانسانية الرجة المنتظرة ، فتفتح امامها طريقا واضحا معبدا .

وقد حصر كل من (كنفوشيوس) و (بوذا) نطاقه في الارض وفي النفس الانسانية ولم يرفع اى منهما بصره نحو السماء ليربط باية خيوط كانت ، الارض والسما . ولذلك كانت دياناتها انسانية ، ولم تكن ديانات الاهية .

وقد جاءت المسيحية فحاولت ان تمد من الارض سببا نحو السماء وتربط الناس الى الله بواسطة ، ولكن شاء اتباع عيسى ان يكون عيسى نفسه هو الواسطة فخلقوا فكرة (النبوة) وربطوا عليها قنطرة بين الارض والسماء . اما الحياة الانسانية وتنظيمها فلم ينل من اهتمام المسيحية الا القليل .

ثمت جاء الاسلام ، وقد درجت الانسانية في مراحل ، وكسبت من معابر الزمان خبرات وتجارب كما تراكمت في حناياها جميع رواسب الازمان الخالية والقرون الغوابر وناءت الحياة الانسانية : عقلها وضميرها ووجدانها وعواطفها وغرائزها تحت سطوة كثير من الرواسب ، ورحمة غير قليل من القيود والاغلال ، المادية والمعنوية

جاء الاسلام ثورة عارمة على هذه الاوضاع كلها ، ثورة تحريرية جارفة في ثلاثة ميادين :

– في ميدان علاقة الانسان بالله
– في ميدان وجود الانسان ككمية من المدارك تجمع الفكر والضمير والعاطفة والوجدان .
– في ميدان العلاقات الاجتماعية بين الناس بعضهم بعضا وفي

انظر الباقي في صفحة 31

من مسؤوليات الاستقلال

ان الاستقلال بمعناه السياسي الوطني المتداول ، هو تمكن شعب ما من ممارسة شؤونه ، ليجريها على النحو الذي يحقق له آماله ومطامحه الحالية والمستقبلة .

ومن ثم كانت تلك الممارسة هي الغاية التي تضحي الشعوب لاحرازها بالنفوس والنفائس .

ولم يكشف لنا التاريخ الى الآن عما اذا كان المغاربة قد احرزوا هذه الغاية قبل أن يهتدوا اليها بهدى الاسلام ويكافحوا لها تحت رايته .

فعصور ما قبل التاريخ يكتنفها بالنسبة للمغاربة ما هي مكتنفة به من الغموض عند كثير من الشعوب .

وأما ما بعد ذلك من أيام التدخل الاجنبي في بلاد المغرب العربي كلها ، قبل أن يظهر فيها الاسلام ، فانه معروف ، ولم تجد فيه البلاد متنفسا الا أيام الزعيم البربري يوكورطة الذي حاول اختلاس استقلال البلاد من رومة ، باستغلاله لانحلالها الخلقي، ولكنها تفطنت في النهاية الى ما بيتته لها من تحرير شمال افريقيا كله من استعبادها ، فعجلت بعقابه على قدر جرمه .

ولما أشرق على العالم نور الاسلام في أوائل القرن السادس الميلادي كان المغرب قداصيب بالزمانة والعياء في جميع الميادين من جراء التدخل الاجنبي المختلف الذي سطا عليه من عدة قرون .

وماكادت طلائع الحملة الاسلامية تصل بلادنا ، حتى وجدت أخبارها فيمعاملة الشعوب بالمساواة والحسنى قد سبقتها ومهدت لها ، واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ، فتعطشت النفوس للدين الذي تحمله ، وتاقت القلوب لنقع غلتها من المعين الذي جاءت به ، فتم بذلك الاستعداد لتلقيه واستقباله

ولما كان الاسلام دينا عمليا يرمي من التطبيق الى ظهور حسن أثره في حياة الانسان الخاصة ، وفيما بينه وبين الناس ليكون مثالا في مجتمعه ، فانه لاهوادة لديه في تطبيق جميع شعائره الاساسية المسماة فرائض ، مع عدم اغفاله لمتممات أخرى لم يوجبها وجوبا الزاميا ، ولكنه رغب فيها بما وعد عليها من الثواب ، وبما تجده النفوس عقب القيام بها من الغبطة والاطمئنان ولذة الشعور بالسمو الروحي ، وذلك هو السر في كون مبادىء الاسلام اذا تمكنت من مجتمع سمت به نحو المثل العليا ماديا وروحيا :

اما ماديا فبما شرعه من وجوب الكد والكدح والسعي في الارض للاستفادة من خباياها ، وبما وضعه من الخطوط الرئيسية لضبط المعاملات

للاستاذ محمد الروداني

بين الناس مهما قل شأنها: (واشهدوا اذا تبايعتم) .. (ولاتسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله، ذلكم أقسط عند الله) .. (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) وسمى ربح التجارة فضلا أضافه الى الله : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) الى غير ذلك من الايات القرآنية والاحاديث النبوية الضابطة للحياة العملية ضبطا أبديا مرنا على مسايرة جميع المجتمعات علىاختلاف الازمنة والامكنة

وأما روحيا فبما يشعه القيام بشعائره في النفوس من الفضيلة والسمو ، والقصد في الاهتمام بالحياة الدنيا ، والكف عن الافراط في طلب ما فيها من بهجة ومتاع (الا ذكر الله وما والاه) حتى لاتتعدى الغاية منها ، وهي كونها زادا ومتاعا الى حين .

وقد كان تمسك المسلمين الاولين بالدين في الدرجة التي تجعل أعداءهم يشهدون لهم بأنهم بالليل رهبان وبالنهار فرسان ، كما جعلت طبيب دار الخلافة الاموية يختار لقطع رجل عروة بن الزبير بن العوام المصابة بالاكلة وقت سجوده في الصلاة ، لئلا يشعر بالالم .

ومع ذلك فانهم لايكرهون من الدنيا ما آتاهم من طرقه الحلال المشروعة ، فقد تمنى شخص أن لو وجد ما على رأس الزبير بن العوام من الطيب عند رواحه الى صلاة الجمعة ، لجعله رأس مال للتجارة : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق) .

ومن المعلوم أن أمير المومنين عثمان بن عفان رضي الله عنه جهز جيشا كاملا من ماله الخاص ، وخلف بعد وفاته تركة صولحت فيها احدى نسائه الاربع عن حظها من الثمن بثمانين ألف دينار .

واذا أوحى الاسلام الى مطبقيه الاتصاف بالسمو الروحي وابتغاء ما أحل الله وافاء من المتاع الدنيوي ، فان في ضمن ذلك ان يكون المسلم عالي الهمة شهما شجاعا متهيئا للقيام بالمهمة التي هو مخلوق لاجلها ، وهي تبليغ الاسلام الى من لم يبلغه بعد وبالوسائل الملائمة ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وليتحد الناس في عبادته كما اتحدوا في استمداد وجودهم منه لان قبس الاسلام كقبس الحرية ، لم

يخلق ليستقر في اليد التي سبقت اليه ، بل تصير به مسؤولة عن الابراع بتقديمه الى غيرها حتى تعم الاستنارة بنوره .

ولم يكد المغاربة الاولون يتعرفون الاسلام حتى أثار بواطنهم ، وملك مشاعرهم ، وألف بين قلوبهم ، وأشعرهم باستقلالهم الحقيقي المحمل بالمسؤوليات الانسانية ، فأصبحوا يعتدون بأنفسهم كأمة طموح مسؤولة عن نفسها وعن غيرها ، واذا استقرأنا فواتح أعمال الدول المغربية العظيمة ، وجدناها قد ابتدأت أعمالها كلها بتوحيد صفوفها وترابها تحت راية الاسلام والحرية والدفاع عن الكرامة ثم تأخذ في توسيع ذلك لما حواليها ، حتى أدركت الشأو الذي جعلنا اليوم نرفع رأسنا فخرا بحضارة مغربية فكرية ومادية لايضاهينا فيها الا من شاركنا في الاستقاء من منبعها الصافي الذي هو الاسلام .

ولعل المغرب لو ترك ونفسه في الماضي ولم تتح له عناية الله أن يتمسك بالاسلام ، لما كان له ما نفخر به نحن الان من أمجاد ، أو لظل على الاقل كبعض الشعوب الافريقية التي ظلت في بدائيتها حتى سطا عليها الاستعمار الغربي فسخرها لمصلحته وطبعها بطابعه ، وساقها في ركابه فجعلته مثلها الاعلى في كل شيء ، في حين أننا نرى أساطينه أندادا لنا في العزة والكرامة ، ونرجو مظهرا فوقهم في الحضارة المادية .

ومن الواضح أن الانحلال السياسي الذي تدهورنا فيه ومازلنا نتخبط للتخلص من عقابيله ، انما هو نتيجة حتمية للانحلال الروحي الذي وقع فيه مجتمعنا ، فانحل معه استقلال أمسنا ، وان المسلمين الاولين في المغرب وفي غيره لم يستفيدوا من الاسلام كل تلك الفوائد الباهرة التي تمتعوا بها ، الا نتيجة لتساويهم جميعا من كبار وصغار وذكور واناث في التمسك به وتطبيق شعائره التطبيق العملي ، والا فان الخاصة الافذاذ الذين لاتجرفهم التيارات ولا تطغى عليهم الطفيليات موجودون في وقت ، وانما الحكم للغالب كما يقولون .

وكما تقدم صدر المقال من أن غاية الشعوب من الكفاح هي الاحراز على استقلالها لتتمكن من اجراء شؤونها على النحو الذي يضمن لها الحرية في تحقيق آمالها ومطامحها — فان المغرب وقد من الله عليه بفرضه الاستقلال ، ينبغي أن ينتهزها لجعل الاخلاص الديني العملي في مقدمة المقومات العريقة التي يطمح لاسترجاعها ، لانه ينبوع تلك الامجاد التي نتغنى بها والتي يزخر بها تاريخنا ، وهو الكفيل بربط مستقبل المغرب الزاهر المأمول بماضيه المجيد الحافل ، وهو الضمانة القوية لتكوين المواطن الصالح روحيا وماديا لاستئناف السير بالحضارة المغربية من جديد وفي نسق واحد ، كي تضم الى تراثها الروحي الذي لامضاهي له ثروة عصرية تتحد عن طريقها المبادىء الروحية بالمعارف الطبيعية لتسيرا معا بالبشرية جمعاء الى ساحل نجاتها

(بقية : الدين تحرير وبناء)

مظاهر شؤون الحياة ومرافقها كلها

أما في الاولى ، فقد حرر الاسلام علاقة الانسان بالله من جميع الوسائط كيفما كان نوعها ، واخضعها من الناحية المبدئية لمنهج اقتناع الفكر وحساسية الضمير ، وايمان الوجدان ثمت حرر الانسان من جميع التاثرات الاخرى ، واسلمه لعقله ووجدانه ليفتحا من تلقائهما نافذتهما الشخصية نحو الله ، ووضع عقيدته هنا تحت مسؤوليته الشخصية الخاصة

وأما في الثانية ، فقد حارب رواسب الماضي ومقاييسه كلها ، وحرر من جميع الاغلال التقليدية التي من شأنها ان تقيد الفكر وتكبت الوجدان او تحول دون تفتح جميع المواهب والامكانيات الفاضلة في الانسان ، ثم فتح في وجهه آفاق الفكر كلها واسلمه اليها حرا طليقا ، ليبني حياته على اسس واقعية من المنطق ، وعلى دعائم من تجاربه ومرانه المتجرد ، وعلى القرار الذي يختاره هو ، ويرى انه المفيد الصالح ، على حين الغى العبودية للعواطف والاستسلام للشهوات والاهواء ، ونضد المتع البريئة كلها بين ايدي المومنين .

اما الثالثة فقد جاء الاسلام الى جانب كونه ثورة روحية لتحطيم مظاهر العبودية كلها : الفكرية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، **جاء تنظيمة اجتماعية ، وتشكيلا جديدا للمجتمع الانساني على وثيرة تفتح له دائما امكانيات النمو والتطور وتدع له جميع المجالات للتفتح ومسايرة الحياة كلها عبر الامكنة والازمنة ، اذا اكتفى بالتصميمات العامة يضع بها الاسس القواعد ، والخطوط الكبرى ويحدد الاتجاه العام الذي يجب ان تنحوه حياة الانسان ثم ترك له تشكيل هذه الاسس وتلوينها حسب ظروفه وامكانياته .**

وهكذا كان الدين حرية في الفكر ، وطمانينة في الضمير والعقيدة وهدوءا في النفس والنزعات وطهارة من العبوديات بجميع انواعها كما كان في نفس الوقت بناء للحياة الانسانية ، وتنسيقا واعيا لعلاقات الناس وتشكيلا للمجتمع الانساني على اسس من هذه الحريات ، ودعائم من الاتجاهات المنهجية الواضحة في مستقبل الانسان

اما كيف استحال هذا الدين وتطور في مراحله التاريخية ، وكيف اثرت هذه العناصر الروحية والمبدئية الكامنة فيه حتى في ثورتنا المغربية الحالية وكيف ان هذه العناصر هي رمز قوته والضمان الاكيد لمستقبله ، فذلك كله هو موضوع القسم الثاني من هذا الحديث

يتبع

من هنا نبدأ..

المغرب اليوم فى مفتتح حياة جديدة ، يجب أن يتغير فيها كل ما يمت بصلة الى عهد الاستبداد والاستعباد وأن لا يغفل المصلحون اى شيء من هذه الصلة، مهما تفه قدره ، وحقر مقداره ، فان المرض العضال ينشأ من جرثومة لا ترى ، وقد يكون انتكاسه أخطر من الاصابة الاولى .

وان من أهم ما يجب تغييره ، ماتركه الاستعمار فى العقول من الحاد ومادية ، وفى القلوب من قسوة وميل وفى الجوارح من جموح وحرون ، وفى النفوس من ضعف سوء ، وما تركه فى المدرسة من تضليل وتجهيل وفى الادارة من محسوبية واستغلال وفى المتاجر من احتكار وانتهاز ، وفى المحاكم من ظلم وارتشاء ، وفى المجتمع من خدعة واستهتار ، وتحرر وانطلاق

فلقد كانت أيدى الاستعمار تبسط نفوذها فى كل ميدان للقضاء على كل المقومات التى تنهض بالامة ، والتى تخرجها من الظلمات الى النور ، وفى مقدمة هذه المقومات الروح الاسلامية المتغلغلة فى قلب الشعب المغربى الكادح ، فعمدت الى ازالة معالم الاسلام الصحيح : «اسلام الوجدان والعقل والعمل» تدريجيا من بلادنا بكل الوسائل التى تملكها ، وبيدها المال والجاه والالقاب والاوسمة والوظائف وكل المرغبات ، فى ركابها الخونة والمنافقون والدساسون والانتهازيون والمستغلون .

ان الحياة الجديدة للمغاربة يجب ان تتغير ، وأن تقلب رأسا على عقب ، ويجب أن يكون هذا التغيير مبنيا من أو ليوم على أسس متينة من أخلاق الاسلام وتربيته ، وشريعته وآدابه ، لاننا شعب مسلم ، وعزتنا فى الاسلام ، وضمان استقلالنا فى بناء مستقبلنا على قواعد الاسلام .

وان فى الاسلام ما تشتهيه الانفس الراضية ، وتلذ به الاعين المبصرة ، وتطمئن اليه القلوب المومنة ويغنى المستبصر عن غيره .

وان فى الاسلام من المرونة والسماح ما يتيح للمسلمين أن ياخذوا كل ما يتوقفون عليه مما جاء به التطور البشرى من حضارة صحيحة وأنظمة صالحة ، وصناعة مفيدة ، ولايشترط الاسلام فى هذه المأخوذات الا شرطا واحدا فقط وهو أن لاتناقض تعاليم الاسلام .

للأستاذ محمد بن العربي بنونة

يبدأ بناء المستقبل السعيد للمغاربة بالدعوة الى الخير ، والتبشير بالنصر ، والتنفير من الشر ، والانذار بالخذلان ، «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون» وذلك بتأسيس المؤسسات التربوية وبث الدعاة فى كل الجهات لاجل العمل على تكوين النشء الصالح ، وتوجيه الشباب الفتى ، وارشاد الرجال الكبار .

ولن أطيل الموضوع بالفات نظر القارئين والقارئات الى المساوى من رواسب الاستعمار ، ودسائس أحباب المستعمرين ، ولا الى ما فى هذه الرواسب من خطر وشر ، ولا الى ما فى هذه الدسائس من خديعة ومكر ، فان الامر أوضح من أن يشرح ، وأبين من أن يوضح ، وانما ألفت النظر الى أن جيلنا الحاضر هو العماد فى بناء المستقبل الزاهر ، وهو المسؤول عن متانة هذا البناء وجماله ، وتناسقه ، فلهذا يجب أن نسلحه — قبل دخول المعمعة — بالايمان الصادق ، والخلق الكريم ، والامل الواسع ، والعلم الصحيح ، والجد المسترسل ، ونمزج له المادة بالروح ، مع مراعاة مقتضى الاحوال ، ومسايرة التطور فى الاعمال ، حتى يكون — باذن الله — من الفائزين بالعزة والسيادة فى الدنيا والكرامة والسعادة فى الاخرة .

نريد من جيلنا — وبالاخص من شبابنا — ان يكون مثال الانسان المتعلم الراقى ، المشارك فى شتى المعارف النافعة فى بناء الحضارة الصحيحة ، ونحب أن نراه فى مثاله هذا: شبابا مسلما اسلاما حقيقيا (لا اسلاما جغرافيا) وانى أعنى بالاسلام الحقيقى ، اسلام القرآن والسنة ، اسلام السلف الصالح الذى عز باتباعه ففتح وحكم وعدل ، وربى واصلح واشاد ، اسلام الرعيل الاول من المهاجرين والانصار ، وما كان الرعيل الاول سوى كتلة من شباب مكة والمدينة ، حبب الله اليهم الايمان وزينه فى قلوبهم ، وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وآتاهم تقواهم ورباهم الرسول «ص» على حب الله والخوف منه ، وتقدير مسؤولية العرض عليه ، وعرفهم ان أحبهم الى الله هو أنفعهم للناس ، فتسابقوا الى الجهاد فى سبيل الخير الاجتماعى ، حتى كان منهم شباب وأى شباب !! ... شباب استعد كل فرد من أفراده للتضحية بمصالحه الشخصية فى سبيل المصلحة الاجتماعية ، وبمشتهياته الملحة لاجل صيانة الفضيلة ، والمحافظة على الاخلاق الكريمة ، يتغلب على العواطف الهائجة بالعقل ، وعلى الضعف البشرى بالواجب ، وعلى الهواجس الشيطانية بالايمان ...

ونحن فى هذا العصر الذى نصفى فيه تركة الاستعمار أحوج ما نكون الى هذا الصنف من الشباب المسلم ، محتاجون الى أرواح يقظة ، وقلوب حية ، وعقل نظيف ، وشعور ملتهب، وطموح نبيل ، وفوق ذلك مفتقرون

انظر الباقى فى صفحة 36

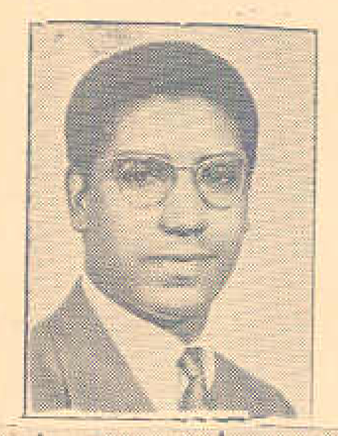
صلاح الدين الأيوبي
ويعقوب المنصور

لقد مر بنا جميعا فى قراءاتنا التاريخية ، عن الحروب الصليبية ، او عن عصر صلاح الدين الايوبى بالذات، او عن حياة الملك المغربى الموحدى ، يعقوب المنصور ان صلاح الدين الايوبى فى غمرة الحروب الصليبية ، وعندما كان محاصرا للافرنج الذين كانوا محاصرين للمسلمين فى عكا ، فكر فى ان يستنجد بالملك المغربى يعقوب المنصور ، وانه بعث اليه بالفعل وفدا يطلب منه ان يمده ببعض قطع اسطوله البحرى ، فقد كان للمنصور اسطول بحرى هائل ، على حين كان المسلمون عموما فى الشرق يشكون من ضعف قوتهم البحرية ، الامر الذى لم يكونوا يستطيعون معه ان يقفوا فى وجه هذا الزحف البحرى الهائل ، المتوالى على الشرق الاسلامى من فرنسا وانجلترا والمانيا وغيرها من الدول الاوربية .

ومر بنا ايضا فى قراءاتنا التاريخية ان الملك المغربى يعقوب المنصور ، لم يستجب لرغبة صلاح الدين ، ولم يبعث اليه اسطولا ، ولم يحرك من اجله ولا من اجل المسلمين جميعا فى الشرق ساكنا ، وذلك لسبب واحد اتفق عليه جميع المؤرخين الذين اوردوا قصة هذا الاستنجاد ، ذلك السبب هو ان صلاح الدين لم يخاطب يعقوب المنصور بلقب : امير المؤمنين.

لم يرد ذكر لقصة هذا الاستنجاد فى كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشى الذى كان معاصرا لدولة الموحدين ، وانما ورد ذكرها فى هامش الطبعة الاخيرة منه ، طبعة مصر عام 1949 ، وقد ورد فى هذا الهامش ما نصه :

« قال اهل التاريخ : وفى بعض هذه الحملات احس صلاح الدين الايوبى صاحب عرش مصر والشام بحاجته الى معونة المسلمين فى المشرق والمغرب على رد عادية الصليبيين على بلاده ، فارسل الرسل والكتب الى امراء المسلمين هنا وهنالك ، وكان



للاستاذ عبد القادر الصحراوي

فيمن ارسل اليه صاحب عرش المغرب والاندلس من امراء الموحدين — يعنى يعقوب المنصور — وسماه فيما كتب اليه امير المسلمين ، قالوا : فغضب ملك مراكش اذ لم يسمه صلاح الدين، امير المؤمنين ، ولم يستجب لندائه ».

وجاء بعد عبد الواحد المراكشى مؤرخ مغربى آخر، هو ابن خلدون ، الذى اورد القصة وان كان لم يعللها ، فقال فى معرض الحديث عن الرسول الذى ارسله صلاح الدين الى يعقوب المنصور، قال :

« وبعثه الى المنصور بهدية ، ووصل الى المغرب ، ووجد المنصور بالاندلس، فانتظره بفاس الى حين وصوله ، فلقيه وادى الرسالة ، فاعتذر له عن الاسطول » .

ثم جاء صاحب الاستقصا ، فاورد القصة بتعليلها التاريخى المعروف ، فقال :

« ولما وقف عليه المنصور — اى لما وقف المنصور على كتاب صلاح الدين — ورأى تجافيهم فيه عن خطابه بامير المؤمنين ، لم يعجبه ذلك ، واسرها فى نفسه ، وحمل الرسول على مناهج البر والكرامة ، ورده الى مرسله ، ولم يجبه الى حاجته » .

ثم ننتقل من المؤرخين المغاربة الى غيرهم ، فنجد ان المؤرخين الذين اوردوا هذه الحادثة الا قليلا منهم ، اوردوها تقريبا بنفس الاسلوب الذى وردت به فى كتب المؤرخين المغاربة ، من غير محاولة لتحقيقها ، او للبحث عن اسباب اكثر معقولية ، لتقاعس المنصور فى موطن لم يكن يظن فيه من مثله ان يقف مثل هذا الموقف السلبى، وفى حرب كهذه ، سواء اعتبرناها حربا دينية ، كما يوحى بذلك اسمها ، وكما عرفت بذلك فى التاريخ ، او حربا عداونية توسعية استعمارية كما قد يبدو لنا بعد حين .

وهذا ابو شامة المقدسى ، مثلا ، فى كتابه (الروضتين فى اخبار الدولتين) فى الجزء الثانى الذى خصصه للحديث عن حياة صلاح الدين الايوبى ، يقول عند ذكر قصة هذا الاستنجاد ما نصه :

« لم يحصل من جهة سلطان المغرب ما التمس منه من النجدة ، وبلغنى انه عز عليهم كونه لم يخاطب بامير المؤمنين ، على جارى عادتهم »

حتى المؤرخون المحدثون ، المنهجيون ، لم يزيدوا شيئا على ما ورد فى الكتب القديمة ، فهؤلاء الاساتذة الدكتور فليب حتى ، والدكتور ادوارد جرجى ، والدكتور جبرائيل جبور ، فى كتابهم المطول : تاريخ العرب ، يقولون فى معرض الحديث عن يعقوب المنصور :

« وهو الذى استنفره صلاح الدين،

وارسل الى بلاطه وفدا يرأسه رسول من اقارب اسامة بن منقذ ، ومعه هدايا ثمينة ، يستنجده على الفرنج الواصلين الى الديار المصرية ، وساحل الشام ، ولما كان صلاح الدين يقر بخلافة العباسيين فرسوله لم يخاطب ابا يوسف ـ يعقوب المنصور ـ بامير المؤمنين ، بل دعاه امير المسلمين ، فعز ذلك على ابي يوسف المنصور ، ولم يجبه الى ما طلبه » .

على ان هنالك زيادة ، نجدها في هذا الكتاب ، كما نجدها في غيره، تفيد ان يعقوب المنصور ، عاد بعد ذلك ، فجهز قطعا من الاسطول لانجاد صلاح الدين ، او لاعتراض طريق الغزاة الاوربيين في البحر الابيض المتوسط، للحيلولة بينهم وبين الوصول الى مصر او سورية او فلسطين . اورد هذه الزيادة ابن خلدون وصاحب الاستقصا بنص واحد ، هو قولهما معا بالحرف :

« ويقال انه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين اسطولا ، ومنع النصارى من سواحل الشام ، والله اعلم » .

وجاء الدكتور حتى وزميلاه ، فلم يزيدوا على ان حذفوا كلمتي : الله اعلم ، وصاغوا هذه الزيادة صياغةاقرب الى فهم القراء المعاصرين ، وذلكحيث يقولون في كتابهم تاريخ العرب :

« ويقال انه جهز له بعد ذلك اسطولا من مائة وثمانين قطعة ، لمنع النصارى من شواطىء الشام » .

ومهما يكن ، فانني في حدود قراءاتي التاريخية الخاصة ، لم استطع ان اتاكد من صحة هذه الزيادة ، اعني من صحة ان يعقوب المنصور ، عاد بعد ذلك فجهز اسطولا لانجاد العرب والمسلمين في الشرق ، وكم كان بودي ان اتاكد من صحتها ، لارفع عن ضميري هذا العبء الثقيل الذي انوء به ، حتى لكانني مسؤول عن موقف المنصور الموحدي ، هذا الملك العظيم ، الذي كنا نريد له ان يتوج عظمته بمحو هذه الوصمة التاريخية .

ولكن ، ماذا افعل ، وانا محصور بين كتب تاريخية تورد هذه الزيادة بين قوسين ، احدهما : يقال ، وثانيهما : والله اعلم ، وبين كتب اخرى لا تقول شيئا في الموضوع بالمرة ، اما لانها لم تسمع به ، واما لانها غير متاكدة من صحته ، واما لانه لم يقع اطلاقا ، وهذا الذي ارجحه انا شخصيا ، وان كانت ادلتي في هذا الترجيح حتى الان كلها سلبية ، اي انها لا تعدو اعتبار الشك المخيم على عبارة المؤرخين الذين اوردوا هذه الزيادة بالتقليد والمناقلة، واعتبار صمت المؤرخين الاخرين ايضا ، وارجو ان اعثر ، او ان يعثر غيري في المستقبل ، على ما ينقص من قيمة هذا الترجيح ، او ينقضه .

اما الذي بين ايدينا حتى الان ، والذي لا سبيل الى الشك فيه ، فهو ان صلاح الدين استنجد بيعقوب المنصور ، فلم ينجده ، لانه لم يخاطبه بامير المؤمنين .

على ان هنالك كاتبا مغربيا آخر ، وفق الى ان يفتح في هذا الباب فتحا جديدا ، ذلك هو الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، في كتابه : (هذه مراكش) فانه لم يكتف عند ذكر قصة هذا الاستنجاد ، بان يوردها عارية من كل تعليق او حكم ، او ان يكتفي بالتعليل التاريخي التقليدي المعروف ، وانما وجد لموقف المنصور تعليلا آخر له نصيبه الكبير من الصحة ، كما انه لم يتردد في ان يحكم عليه ، في صراحة وشجاعة تحمدان له .

يقول الاستاذ ابن جلون ، في كتابه هذه مراكش :

(ولكن يعقوب المنصور اخطا خطا كبيرا حينما ارسل اليه صلاح الدين الايوبي يطلب مؤازرة اسطوله ، واقفال البحر الابيض المتوسط في وجه الاساطيل الاوربية ، في طريقها الى بيت المقدس ، ويعلل المؤرخون ذلك بان صلاح الدين لم يخاطبه بلقب امير المسلمين ، ونرى نحن ان لهذا الرفض علاقة ببعض الحروب التي قامت على حدود الموحدين الشرقية ، ولو اقدم المنصور على اقفال البحر الابيض المتوسط ، وكان اسطوله من اقوى الاساطيل الاسلامية ، لكان من الممكن ان يغير مجرى التاريخ العربي) .

هذا ما ورد في كتاب الاستاذ بن جلون ، ولعله يقصد بقوله : لم يخاطبه بامير المسلمين ، لم يخاطبه بامير المؤمنين ، ومهما يكن ، فهذا تعليل جديد لموقف المنصور ، وان كانت طبيعة كتاب (هذه مراكش) لم تسمح لمؤلفه بشرح فكرته شرحا كافيا او محاولة التدليل عليها ، فقد وضع الكتاب للتعريف بالمغرب كله ، ماضيه وحاضره ، ومشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها ، وذلك ما لا تتأتى معه الافاضة والتحليل .

الان وقد اوردنا بعض ما امكننا الوصول اليه من النصوص التاريخية في الموضوع ، نريد ان نعود الى الوراء قليلا ، لنلقي ضوءا اكثر على هذه الحادثة التاريخية ، ولنشرح ظروفها وملابساتها ولنبحث عن بعض تفاصيل هذه السفارة واسباب اخفاقها ، لا لننتحل عذرا للمنصور ، فاننا لا نتردد في ان ندينه منذ البداية ، لقد اخطأ ، ولن يمنعنا اعتزازنا بتاريخنا من ان نسجل هذا الخطا .

ان التاريخ غير الملاحم ، فنحن لا نقراه لننتشي من عظمة الاجداد ، ونلتذ بالاحساس بالفخر بهم ، وانما نقراه اولا وقبل كل شيء ، لنعرفه ، لنعرفه على حقيقته ما امكن ، ثم لنستمد العبرة منه ، من خطا ابطاله ومن صوابهم ، من احسانهم اذا احسنوا ، ومن اساءتهم اذا اساءوا ، وقد احسن المنصور في اشياء كثيرة جدا ، ولكنه اساء في هذه ، ورحم الله الشاعر الذي كان يقول :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

يتبع

الصفحة السياسية

الازمة المزمنة :

سقطت اخيرا حكومة السيد جي موليه بعد ان ضرب الرقم القياسي في المدة التي قضاها في الحكم بالنسبة للوزارات الفرنسية منذ تاسيس الجمهورية الفرنسية الرابعة ، عقب الحرب العالمية الثانية .

وقد طالت حكومة جي موليه هذا الطول النسبي بسبب قضية الجزائر المكافحة ، فقد جعل من اصراره على مقاومة آمال الجزائريين في الحرية والاستقلال وسيلة للحصول على تأييد البرلمان والبقاء في الحكم .

وتعتبر حكومة فرنسا الجديدة وهي الحكومة الرابعة والثلاثون منذ انتهاء الحرب – مثل كل حكومة فرنسية – حكومة إنتقالية ، اوحكومة



بورجيس مونورى الرئيس الرابع والثلاثين للحكومة الفرنسية بعد الحرب ولا يتجاوز سنه الثانية والاربعين

اجتياز مرحلة ، لان الحكم في فرنسا لايعدو ان يكون مرحلة تسقط الحكومة اذا اجتازتها كما تسقط اذا لم تجتزها والازمة التي تعانيها فرنسا من ناحية الحكم ترجع الى النظام الحزبي القائم من ناحية ، ولحاجة فرنسا الى رجل شجاع يستطيع ان يواجه المشاكل بدلا من ان يداريها من ناحية اخرى

والمشكلة الكبرى التي لايجرؤ احد من رؤساء الحكم في فرنسا على مواجهتها بشجاعة ، هي مشكلة



للاستاذ عبد المجيد بن جلون

الجزائر ، وحل قضية الجزائر اصبح مرتبطا بحل مشكلة فرنسا كلها ، لان الحرب في القطر الشقيق تكلف الحكومة الفرنسية مليارا ونصفا من الفرنكات يوميا ، ومعنى هذا التضارب المستمر بين هدفين

احدهما : الاحتفاظ بالجزائر والاصرار على ذلك لتملق النخوة القومية الموهومة

وثانيهما : تملق الشعب بالتخفيف من الضرائب وتيسير وسائل الحياة ، وهو هدف لايمكن تحقيقه الا اذا وجد من يستطيع مجابهة الشعب بالوقائع الملموسة

والهدفان معا بالاضافة الى تضاربهما مستحيلا التحقيق معا ، لان القضاء على الثورة في الجزائر بعد هذه المدة الطويلة ضرب من الوهم ، لايعاد له سوى المطالبة بتخفيف الضرائب مع الاصرار على تحمل نفقات الحرب الباهظة التي اخذ الاحتياط الفرنسي نفسه يتاثر به تاثرا خطيرا .

وفرنسا تخوض الحروب المدمرة منذ سنة 1939 الى اليوم ، اى منذ نحو 18 عاما ، وقدرة الشعوب على تحمل مثل هذه الحروب الطاحنة محدودة مهما كانت غنية ومهما تكدس الذهب في خزائن الاحتياط

وعلى ذلك فان من الطبيعي ان تستمر فرنسا في معاناة ازمات الحكم الواحدة تلو الاخرى ، بل ان الذى يدعو الى الاستغراب هو ان لاتقوم ازمة في بلاد هذه اوضاعها خلال السنين الطويلة .

انها ازمة مزمنة سوف تظل قائمة تسلمها الحكومات السابقة الى الحكومات اللاحقة ، بعد ان تزيدها تعقيدا ، وسوف يظل الامر قائما كما هو الى ان يصل الى كارثة ، او الى ان يقيض التاريخ لفرنسا حكومة تواجه الامر من ناحية الجوهر والعقلية ، لا من حيث العوارض والقشور كما نشاهد اليوم

ماك ميلان يعمل

تجتاز العلاقات بين الولايات المتحدة وبين انجلترا مرحلة دقيقة في هذه الايام ، بعد ان اخذ ماك ميلان ينظر الى الاشياء من زاوية جديدة على اثر النكبة التي نزلت ببلاده بسبب اعتدائها على قنال السويس ، فقد اخذت الحكومة الانجليزية التي جاءت على اثر حكومة ايدن تعمل على مواجهة مصالحها وحدها دون اقامة كبير وزن للاخرين ، ويطلق بعضهم على هذه السياسة (الواقعية الجديدة) او كما قال ماك ميلان نفسه : اننا لا نريد ان نسير وحدنا ، ولكننا سنفعل اذا اضطررنا الى ذلك ، وآخر خطوة اتخذتها الحكومة لانقاذ الموقف هو رفع القيود على تجارتها مع الصين الشعبية .

لقد كلفت تجربة قنال السويس الخزينة البريطانية بليونا من الدولارات على اقل تقدير ، ونزلت بحالة البلاد الاقتصادية الى الحضيض ، في ورطة هي الاولى من نوعها منذ



ماك
ميلان

انتهت الحرب العالمية الثانية فسقطت حكومة ايدن ، وجاء ماك ميلان لانقاذ الموقف ، وكانت (الواقعية الجديدة) في طليعة الاسس التي وضعها للنهوض ببريطانيا •

فماذا استطاع تحقيقه منذ تولى الحكم ؟

كان اول ما عمد الى اتخاذه من الاجراءات هو خفض نفقات الدفاع ، وبدأ بسحب من المانيا 30 الف جندى بريطانى من الثمانين الف الموجودين فى تلك البلاد ، فازعج هذا الاجراء الولايات المتحدة والمانيا معا ، وقد قبل شروط جمال عبد الناصر للمرور بالقنال لتنشيط حركة البواخر البريطانية عبر جميع البحار ، وشجع العمال بتخفيض الضرائب ، وتوسع فى النشاط الذرى تمهيدا للاستغناء عن بترول الشرق الاوسط وذلك ببناء محطة ذرية تستطيع انتاج 6 بليون كيلووات سنة 1965 ، ووضع مشروعات جديدة للصناعة والانتاج فى بريطانيا

وقد بدأت هذه الاجراءات الانقلابية توتى ثمارها اليوم ففجرت بريطانيا اول قنبلتين هيدروجيتين فى المحيط الهادىء ، وبذلك اصبحت ثالثة دول العالم فى النشاط الذرى ، وارتفعت نسبة انتاج الفحم فى الفترة الماضية من السنة الحالية 4 مليون طن عن نفس الفترة فى السنة الماضية ، وبذلك اصبحت مرة اخرى فى طليعة الدول المصدرة للفحم ، ونشطت احواض بناء السفن على صورة تستهدف استرداد قصب السبق من اليابان ، وارتفع احتياط الذهب والدولار الى ما يقرب من بليونين ونصف (بقيمة الدولار) خلال الشهر الماضى ، وهى نسبة لم تعرفها بريطانيا منذ شهر يوليه سنة 1956 وقد مكن ذلك الحكومة من ان ترفع القيود على السياحة بالنسبة للبريطانيين فى الولايات المتحدة ، وهى القيود المفروضة منذ سنة 1947 لاجل الاقتصاد فى صرف الدولار •

وقد اختفت من امام السفارات الاجنبية فى احدى تلك الحركات الثورية التى كانت تتكون من الراغبين فى الهجرة بعد ازمة القنال ، تلك الازمة التى رفعت نسبة الهجرة رفعا خطيرا (600 فى المائة) وقد اجتاز الكومنويلث الازمة الخطيرة التى كادت تصدعه منذ 6 شهور خلت ، وهو يعقد منذ 26 يونيه الماضى اكبر اجتماعاته ، اذ يحضره عشرة من رؤساء الوزارات ، وسوف ينضم اليه ثلاثة اعضاء فى سنة 1959 هم نيجيريا ، وجزر الهند الغربية والملايو •

وبالرغم من تلك الجهود ، وهذه النتائج فان بريطانيا ما تزال بعيدة عن التغلب على ذيول ازمة القنال الخطيرة ، يضاف الى ذلك ان سياسة بريطانيا الانفرادية تثير رد فعل فى الولايات المتحدة التى قد تجعل من المانيا الغربية حليفا يخلف انجلترا •

وتتطلع الانظار الى الزيارة المقبلة التى سوف تقوم بها ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية للولايات المتحدة ، فقد تكون هذه الزيارة عاملا على تخفيف الازمة الناشئة بين البلدين •

ـ بقية « لاجحود ولا جمود » ـ

ان الجمود فى الدين ، هو الذى اوقعنا فى الهوة التى سقطنا فيها فنبذه والعدول عنه ، والكفر بآثاره كلها ، فى مقدمة مايجب عمله لمن اراد ان ينهض بالمسلمين ويرفع من شانهم وجحود تعاليم الدين لا يمكن ان يكون علاجا لآفاتنا ، ولا دافعا للنهوض بنا من كبوتنا لانه لن يمنحنا الا الكفر بما بقى فى نفوسنا وفى مجتمعنا من فضائل لابد منها لانعاشنا وانبعاثنا •

لا جمود ، ولا جحود ، تلك هى ـ **دعوة الحق** ـ التى يجب ان نعم كل اوساطنا حتى نتمكن من السير الى الامام ، ممتلئين ايمانا ويقينا ، وعارفين بما نعمل وبالطريق التى نسلك •

« له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغة ،وما دعاء الكافرين الافى ضلال»

بقيــة « من هنا نبدا »

الى رجولة كاملة تؤمن بالله وتشعر بالمسؤولية ، وتخاف العاقبة ، ليحدوها الايمان والشعور ، وخوف الله لان تقوم بالواجب لانه واجب ، اذ الحياة اذا نضب منها الايمان ، وتزعزعت فيها العقيدة فقدت قيمتها وتدهورت مزاياها ، واصبح الشخص فيها شهوانيا ، شانه شان الحيوان ، همه ان ياكل ويشرب ويتناسل اجابة لدواعى الغريزة ، ودوافع الاحتفاظ بالنوع ، وان حياة من هذا النوع لاقيمة لها ولاخير فيها ، ولا نرضاها لجيلنا ولا لشبابنا ، وصدق الله العظيم : «والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم» .

ونحن اذا دعونا الامة الى تغيير ما بانفسها ، وما بوطنها مما تركه الاستعمار من المصائب والويلات ، ودعونا الى توجيه الشباب فى حال ابتداء حياته الاستقلالية الى هذا التكون الاسلامى الصحيح ، فلاننا نريد منه ان يكون معتزا بدينهعاملابه ومعتزا بلغته ووطنه ، تاريخه وآدابه وقومه ، وان يكون مجاريا لآخر طراز من مدنية العصر الحاضر : فى العلم والمعرفة ، والفن والمظهر ، والنظام والترتيب ، فى المسجد والمدرسة ، والبيت والطريق ، والمشغل والنادى ، وصدق الله العظيم «ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم» وعلى الله التوكل ، وله دعوة الحق ، وبه الاهتداء ، واليه المـآب .

الفهرس

